وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الأوضاع الاجتماعية والثقافية بتوات من خلال الرحلات الحجازية المغاربية في الفترة الحديثة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب: – حنين العربي

إشراف الأستاذة: دة/ ربيعة قريزة

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ:16 جوان 2025

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

الرتبة	الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/	ناصر بلحاج	جامعة غرداية	رئيسا
د/	ربيعة قريزة	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
أ.د/	أحمد جعفري	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1445–1446هـ/2024–2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

أهدي هذا العمل للتي من دونها بعد الله ماكنت، وما وصلت وما أتممت عملي هذا

إلى غاليتي أمي الحبيبة

إليك يا أغلى ما في الكون وأحن مافي الدنيا

و إلى من كان السند عليه كاستنادك على جبل شامخا معطاءا في حياته وبقيت نصائحه محفورة في ذاكرتي بعد مماته

إنه الوالد الذي أدعو أن يتغمده الله برحمته الواسعة ويكرمه جنة الفردوس في أعلى عليين إليك أبي ...

وإلى من يشد به العضد

إخوتي و أخواتي كل واحد باسمه الخاص

أيضا إلى زملائي في العمل و في الدراسة

لكل من ساعدني، لكل تواتي ولكل صديق

إليكم جميعا أهديكم عملي هذا

شكر و عرفان

أولا وأخيرا الشكر لله الذي عليه توكلت وإليه أنيب وهو رب العرش العظيم

فالحمد لله الأحد الصمد الذي سخر لنا من عباده من لولاهم بعده ما تم هذا العمل وما أكتمل

وفي هذا ابتدئ بشكر خاص للأستاذة المشرفة لجهودها وصبرها وكل ما قدمته من نصح وإرشاد فشكرا دكتورة قريزة ربيعة.

ثم يطيب لي أن أتقدم بشكر للجنة المناقشة على قبول مناقشة هذا العمل

والى أساتذتي في قسم التاريخ كل منهم باسمه وبجميل وسمه

و الى صديق صدوق صاحب معطاء

قائمة مختصرات مستعملة:

01- المختصرات باللغة العربية:

در وتح: دراسة وتحقيق

تح: تحقيق

ط: الطبعة

ع: العدد

ج: الجزء

مج: مجلد

ص: الصفحة

ص-ص: صفحات متتالية

هـ: هجري

م: ميلادي

مقـــدمة

مقدمة

يعتبر توات إقليما شاسع الأرجاء ساهم موقعه الجغرافي في تميزها في الفترة الحديثة عن الأقاليم والحواضر الأخرى، كما كان للرحلات الحجازية أهمية كبيرة في تدوين تاريخها الممتد منذ فترات وأزمنة غابرة، فأبرزت لنا تاريخ توات الاجتماعي والثقافي ورصدت لنا معلومات أصبحت مع الوقت يمثل إرث لهذه المنطقة، هذه المعلومات التي وثقت في مصادر تعتبر مرجع لكل دارس للتاريخ نذكر منها المخطوطات وكتب الرحلات خصوصا الرحلات الحجازية التي تركت رصيد ثري من المعلومات والآثار التي عاينها الرحالة في طريقهم إلى الحجاز.

تعد توات كذلك كغيرها من المناطق الصحراوية الجزائرية التي بني تاريخها في بعض الأحيان على الروايات الشفوية في نقل الموروث الثقافي والاجتماعي للمنطقة ليشكل ذالك تاريخا شكك البعض في صحته لارتباطه ببعض الأساطير والخرافات.

وعرفت الفترة الحديثة عدة رحلات حجازية مغاربية عابرة للصحراء الجزائرية حيث توغل بعض الرحالة في الصحراء وصولا إلى واحات توات مسايرين وادي قير ووادي الساورة، كما إتخذ رحالة آخرون المسلك المار باوكروت، الدغامشة، القليعة إلى ورقلة ثم تماسين وتقرت، متجنبين الطريق الشمالي أو طريق البحر.

وكان مرور هؤلاء الرحالة في الفترة الحديثة في هذه الطرق خصوصا المسلك العابر لإقليم توات سبيلا لأخذ نظرة ومشاهد عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية بهذا الإقليم خلال هذه الفترة، فكان موضوع المذكرة على الشكل الآتي: "**الأوضاع الاجتماعية والثقافية بتوات من خلال الرحلات الحجازية المغاربية في الفترة الحديثة**".

الإطار المكاني والزماني:

إن حصر جغرافيا إقليم توات ليس من الأمر السهل بمكان، بحيث أن الرحالة الذين جابوا المنطقة لم يتفقوا على حدود واحدة فما كان منا إلا أن نتقيد بالمجال و الوصف الذي قدموه الرحالة الحجازيون الذين دخلوا توات وتوغلوا في أرجائها.

أما عن الإطار الزمني فكانت الفترة الحديثة زاخرة بالرحلات الحجازية المغاربية ولم نحدد قرنا أو تاريخا دون غيره من هذه الفترة لاتساع المجال الزمني بين الرحلات الحجازية التي أظهرت لنا توات اجتماعيا وثقافيا ولم تكن في مجال زمني محدد، خصوصا الحجازية منها وتلك التي تصور توات من عديد النواحي والجوانب.

دوافع اختيار الموضوع:

وقع اختياري على موضوع الأوضاع الاجتماعية والثقافية بتوات من خلال الرحلات الحجازية المغاربية نتيجة لدوافع علمية وأخرى ذاتية شخصية ألخصها فيمايلي:

– كون إقليم توات والرحلات الحجازية ضمن مواضيع الدراسة في تخصص المغرب العربي الحديث قليلة الدراسة والتفحص.

– دافع شخصي للتعمق في تاريخ الإقليم التواتي بغية تصحيح بعض المقولات الواردة عنه، والوصول لقناعة علمية عن أخباره وما عرف عن سكانه من مصادر موثوقة كالرحلات الحجازية.

– إظهار أهمية الرحلات خصوصا الحجازية منها في التأريخ للمناطق والحواضر قيد الدراسة في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

– إظهار توات بعيدا عن الخرافات والأساطير التي أصبحت تتناقل بين الأفواه دون الإحاطة بصدقها من عدمه.

– وضع بين يدي الباحثين عن تصفح تاريخ الحواضر الصحراوية الجزائرية صورة عن إقليم صحراوي تباينت الأقوال عليه في تبعيته سابقا لدولة عن أخرى وإثبات استقلاليته وقتها وارتباطه قلبا وقالبا بجزائريته التي لا مساس فيها.

الإشكالية:

تسعى هذه الدراسة لتشكيل حوصلة معرفية عن الحياة التي عاشها السكان داخل إحدى الحواضر الجزائرية وهو إقليم توات بالفترة الحديثة وذلك من خلال الرحلات التي جابت تلك البقاع الصحراوية خصوصا الرحلات الحجازية المغاربية، والتي تعتبر مصدرا هاما في الدراسات التاريخية للإقليم قيد الدراسة، فكانت الإشكالية المطروحة

على النحو التالي: **كيف كانت الصورة التي شاهدها الرحالة المغاربيين في وجهتهم للحج عند مرورهم بتوات وقصورها، وكيف كان وصفهم للحياة بمختلف مضامينها للسكان والجماعات في الفترة الحديثة داخل هذا الإقليم؟.**

للإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية كان لزاما علينا الخوض في الجزئيات المتعلقة بتوات والتفاعلات الحضارية فيها، كما وجب استعراض نقاط تتعلق بالرحلات خصوصا الحجازية منها، وكان ذلك موضوع الفصول والمباحث المشكلة لهذه الدراسة، ما وضعنا أمام تساؤلات فرعية وجب طرحها وكانت على الشكل التالي:

- أين تقع توات وكيف سمية بهذا الاسم؟
- ما التركيبة البشرية داخل إقليم توات وكيف تعايشوا فيما بينهم؟
- ماذا يقصد بالرحلة وما أنواعها؟
- كيف للرحلات أن تؤرخ لدراسة منطقة ما، وكيف حفظت ودونت رحالات العابرين للصحراء في سبيلهم للحج في الفترة الحديثة؟
- كيف صور الرحالة الحياة الاجتماعية والثقافية بتوات؟
- من أهم الرحالة المغاربيين الذين صوروا توات واصفين أهمية موقعها تاريخيا؟
- هل كان للمرأة في توات دورا في الحياة الاجتماعية والثقافية؟

الخطة المتبعة:

افتتحت موضوع الدراسة بمقدمة، كما قمت بتقسيم دراستي للموضوع في ثلاثة فصول، لكل فصل ثلاثة مباحث لتشكيل توازن بينهم.

ففي الفصل تم التعريف بتوات والرحلات في إطارهم النظري والتاريخي معرجا عن الموقع الجغرافي وكيف تأسست إضافة للتنظيم الإداري للإقليم، وتشكيل صورة عن الرحلات وأنواعها وطرق عبورها وبعض من أهم الرحالة العابرين لإقليم توات في وجهتهم للحج ، وكيف أرخت رحلاهم للإقليم التواتي، أما الفصل الثاني فكان لرسم صورة عن الإنسان التواتي وكيف مارس حياته الاجتماعية، إضافة إلى ما اشتهر به المجتمع وما أخذ عليه والدور الذي مارسته المرأة داخل المجتمع، أما في الفصل الثالث فكان لدراسة الأوضاع الثقافية بتوات من خلال التطرق للمجال العلمي أدبا وشعرا، والحديث عن التصوف ودور الزوايا في نقل العلم إضافة للممارسات الدينية ، وعلاقة الحج بالحياة الروحية بتوات.

في الأخير وضعت خاتمة تحوصل الموضوع قيد الدراسة تتضمن نتائج واستنتاجات حول الموضوع، تأتي بعدها قائمة ضمت ملاحق تبين لنا صورة عن توات من خرائط، وصورة لمخطوطات التي اعتبرناها مصدرا هاما في التأريخ للمنطقة من خلال الرحلات الحجازية.

أهمية الدراسة وأهدافها:

- تكمن أهمية الدراسة في أخد صورة عن الحياة داخل إقليم توات بالفترة الحديثة من عديد الجوانب خصوصا الاجتماعية والثقافية؛
- إبراز الرحلات كمصدر للدراسات التاريخية؛
- إظهار مدى الاعتماد على الرحلات الحجازية في كتابة تاريخ توات في غياب مصادر تاريخية أحرى تؤرخ للمنطقة؛
- محاولة الوصول بهذه الدراسة لان تكون في قالب أكاديمي علمي يستفيد منه الطلبة في دراسات مماثلة؛
- الوصول إلى حقيقة منطقة توات بالفترة الحديثة ونبذ بعض الخرافات والأقوال التي أشيعت عنها.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على دراسات سابقة حول الموضوع، لاحظنا أن معضم هذه الدراسات اهتمت بجغرافيا المكان أكثر منه أوضاع المعيشية للتشكيلة البشرية الآهلة للمنطقة، أو كانت دراسات حول الصحراء الجزائرية يتم فيها التطرق نسبيا لمنطقة توات دون إعطائها حقها ومستحقها كواحدة من ابرز الحواضر في الفترة الحديثة في الجزائر عموما وفي الصحراء الجزائرية على وجه خاص، ومن جملة هذه الدراسات نذكر:

- الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الأقصى والجزائر خلال القرنين 17م-18م رحلة العياشي و الورتلاني أنموذجا، لسديري سميحة وسعدات نور الهدى، عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون-تيارت-
- الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م)، لعامر دحو وهي عبارة عن مذكرة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص المغرب العربي الحديث بجامعة غرداية.
- الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، لأحمد بوسعيد وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام تخصص التاريخ المغاربي الاجتماعي والثقافي بجامعة أدرار.

كما لا أخفي أنني في الحقيقة استعنت بالعديد من المقالات التي تخدم جوانب متفرقة بالموضوع المدروس.

منهج البحث:

حاولت أن أجمع بين الأسلوب الوصفي والأسلوب التحليلي النقدي وهما أسلوبان يندرجان تحت المنهج التاريخين وذلك لكون الموضوع يحتوي على معطيات مباشرة.

تم استخدام الأسلوب التاريخي الوصفي لوصف توات ورسم صورة لها في ذهن القارئ وهو نفس الأسلوب المتبع في وصف طرق الرحلات الحجازية العابرة لإقليم توات وسرد ما جاء به الرحالة، أما الأسلوب التحليلي فقد وظفته دراسة المادة العلمية التي تزخر بها مصادر الرحلات، حيث تم الوقوف على بعض الظواهر الاجتماعية والثقافية المدروسة وشرحها او التعليق عليها.

تقديم المصادر والمراجع:

من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الدراسة نذكر:

01- رحلة أبو سالم العياشي المسماة (ماء الموائد) التي تعتبر من أهم الرحلات الحجازية التي عرّفت توات خصوصا انه إتخذ من المسلك الشمالي الجنوبي طريقا له في اتجاهه للحجاز مخالفا الكثير من الرحالة الذين سبقوه.

02- الرحلة العليا الى منطقة توات لصاحبها الشيخ محمد باي بلعالم في جزئين، هذه الرحلة التي ضم فيها 752 بحث شملت العادات التقاليد بمنطقة توات وإعطاء نظرة عن هذه المنطقة منذ القديم وصولا للعصر الحالي مع تحاليل منطقية وفق منهج تاريخي يسهل على المتلقي الاستفادة منه.

03- كتاب مناهل الصفا لعبد العزيز الفشتالي في ذكره استيلاء العساكر على قطرى توات وتيكوارين واستفتاحها بالسيف عنوة

صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات وعراقيل تواجه الباحث ونوجز اهم الصعوبات فيما يلي:

- تشعب المادة العلمية وصعوبة التحكم فيها، خصوصا كتب الرحلات التي تتضمن الكثير من الاستطراد.

- صعوبة الوصول إلى بعض المصادر والمراجع ذات الأهمية الكبيرة في بعض جوانب الدراسة، نذكر على سبيل المثال الرحلات المحلية كرحلة عبد الرحمان التنلاني.

- كما يوجد عائق لا يمكن إغفاله وهو نظرة بعض أرباب الخزائن والمخطوطات لسعي الباحثين والدارسين عن التراث وكنوزه المعنوية والمعرفية.

- كما لا أخفيكم أنه من الصعب بمكان أن يتم التوفيق بين كتابة مذكرة لشخص له ارتباطات عملية، ما جعلني أسابق الزمن كي تكون هذه الدراسة بين أيديكم في قالب علمي أكاديمي مع الحرص على عدم إغفال الجوانب المنهجية والمعرفية المتاحة.

وفي ختام مقدمتي هذه ما يسعني سوى التمني بأن أكون وفقت لأبعد الحدود في طرحي هذا، فما كان من توفيق فهو من الله تعالى، وما كان من تقصير فهو مني ومن الشيطان، حسبي أني اجتهدت لأخر يوم لتقديم هذه الدراسة المحلية التي أرجو أن أكون وفقت فيها.

الفصل الاول:

الإطار النظري والتاريخي لإقليم توات

تمهيد

يمكن استكشاف منطقة توات و استعراض خصائصها الاجتماعية ومميزاتها الثقافية بناءا على الدراسة الجغرافية الشاملة ،و استنطاق الحقائق التاريخية الخاضعة لتأثيرات المكان في تجلياته والزمان في دوله ودورانه . ذالك أن الإنسان ابن بيئته ، فرغم أن البيئة التواتية صحراوية وجافة إلا أن ذالك لم يحل دون ارتباط هذا الإقليم بامتدادات خارجية واسعة وتحوله إلى مركز لاستقطاب الدول و الأفراد ، وهذا ما سنعالجه في مباحث هذا الفصل بداية بالمبحث الأول الذي يتناول الموقع الجغرافي و أهميته ثم المبحث الثاني الذي يتحدث عن أدب الرحلة ودوره التاريخي ،الاجتماعي و الثقافي وصولا للمبحث الثالث الذي يضع الرحلات الحجازية محل تقييم ودراسة لمعرفة مدى دقة التأريخ لمنطقة توات من خلال الرحلات الحجازية المغاربية مع المقارنة بالمصادر الأخرى .

المبحث الأول: منطقة توات _الموقع والأهمية_

اولا: الموقع الجغرافي وأهميته :

01- الموقع الجغرافي والتأسيس:

أ/ المجال الجغرافي لتوات:

يحمل مصطلح توات أبعاد و دلالات جغرافية تتناسب طردا مع المتغيرات التاريخية التي عرفها الإقليم ، إذ يطلق على أجزاءعدة من ولايات ادرار ،عين صالح وتيميمون بالجنوب الغربي الجزائري ، بينما رسم له المؤرخون السابقون حدودا ذات معالم متباينة ، اتسمت أحيانا بالبساطة وتارة أخرى بالتركيب[1].

تحتل منطقة توات موقعا جغرافيا استراتجياما بين شمال الصحراء والساحل الإفريقي المسمى من قبل الجغرافيين والرحالة العرب بلاد السودان ، إذ يحدها شمالا واد الساورة الذي يربطها بحواضر المغرب الأوسط و المغرب الأقصى شاقا

[1] اعتبر العياشي (ت 1090 هـ/1679م) قرى تسابيتأول عمالة توات من جهة الشمال . / أبو سالم العياشي،**الرحلةالعياشية،ماءالموائد**،تحقيق سعيد الفاضلي و سليمان القرشي ، ابوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع ،2006م ، ج1 ، ص79 .

مجراه بمحاذاة العرق الغربي الكبير ،أما جنوبا فيحدها رق تينزروفت[1] المنبسط نحو اسقاع بلاد السودان ، شرقا واد امقيدن"امكيدن" وغربا عرق شاش[2].

يشتمل إقليم توات على عدد من الواحات والمدن و القصور التي تزيد على الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء أشبه بالأرخبيل في البحار، وهي تغطي حوالي ألفي ميل مربع من الأرض.

ويقع الإقليم بين خطي عرض 30/26 درجة شمالا ، وبين خطي طول 4 غربا الى 01 شرقا، وهذا الموقع يمثل امتدادا طبيعيا لمنخفض تنزروفت نحو الشمال[3]

ب/ أصل التسمية:

اختلف الدارسون والباحثون في أصل تسمية منطقة توات بهذا الاسم، حيث ردها الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي للرواية عن ملك الموحدين وفرضه على أهالي المنطقة أتوات فعرفوا من ذلك بأهل الاتوات، وهناك من يقول ان الأصل في هذه التسمية أن أصل الكلمة أعجمي بربري حيث يقول الأستاذ الحاج أحمد الصديق:" ما دام الفرع وهو القصور التواتية قد وضع بربريا فإن الأصل في تسمية الإقليم، لابد أن يكون بربريا كذلك".

وذهب بعض الدراسين الفرنسيين إلى ربطه بالأصلالإغريقي، حيث زعموا أن الفرنسيين يطلقون على الواحات اسم (وازيسouasis) وعند اشتقاقهم لهذا الاسم المركب وجدو أن "وا" جمع لكلمة توات ، مثل" touat'nebdou" التي تعني واحة الماء، وهو يطلق باللفظ والدلالة عند الجغرافيين على منطقة الواحات التي تحمل هذا الاسم بالحوض الشرقي لواد الساورة، كما قد تكون أصل التسمية من الإفريقية القديمة فهناك أسماء بلدان أخرى بالسودان الغربي شبيهة باسم توات مثل: تودني، تمبكتو وتغز[4].

---

[1] تنزروفت: صحراء في عمق الجنوب الغربي الجزائري تشبه الربع الخالي في شبه الجزيرة العربية وتحافظ على اسطوريتها حيث تخلو من أي مظاهر للحياة البشرية وحتى النباتية.

[2] محمد باي بالعالم ، **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام و الآثار و المخطوطات والعادات ومايربط توات من الجهات** ، الجزائر :دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، ج 01 ،2005، ص 59 .

[3] فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين**، اطروحة لنيل الدكتوراه الفصل الثالث في التاريخ، إشراف أبي القاسم سعد الله، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص01.

[4] وهيبة وهيب وفاطمة صغير، مجلة الباحث، المدرسة العليا للاساتذة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري، المجلد 13، العدد:02،السنة 2022، بوزريعة الجزائر، ص60

02- أهمية موقع إقليم توات:

لقد كان إقليم توات الذي يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية أهمية لايستهان بها ولا سيما في المجال الاقتصادي وفي المجال التجاري على الخصوص، وعن أهمية هذا الإقليم فإنها تكمن في وقوعه على طرق القوافل التجارية المتجهة من الشمال إلى والمغرب وتونس وحتى طربلس الغرب، والواقع أن أهميته ليست فقط في كونه منطقة عبور هامة وملتقى القوافل التجارية ومحط رحالة ومنطلقها، لكن أيضا في كونه مركزا كبيرا للتبادل التجاري في بضائع الشمال وسلع الجنوب ومنتجات الإقليم ذاته ومخزنا كبيرا لتلك السلع[1].

وعن أهمية هذا الإقليم في القرن السادس عشر يقول عبد العزيز الفشتالي: " هذا الإقليم المفرع إلى قطر توات و هو أوسع وطنا وأفسح مجالا واقرب للسودان اتصالا وجوارا وإلى قطر تيكورارين و هو أعظم اشتهارا وأعرف نقيبا واشد شوكة واخشن جانبا واعظم أقاليم(المغرب) وأكثرهاأماوأفسحها خطة، انتظم عمرانه واتصلت نخيله وتراصفت قصورهعلى مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر[2] ".

ولأهمية هذا الإقليم ظهرت كانت الفترة الحديثة شاهدة على أطماع الدول المجاورة له بل وحتى في العصور الوسطى، فتطلع السعديين إلى مد نفوذهم على إقليم توات في منتصف القرن السادس عشر لإدراك منهم أهمية هذا الإقليم في المجال الاقتصادي، كانت حملاتهم كثيرة على توات لإخضاعه بالقوة بعد فشل محاولاتهم إخضاعه الى سيادتهم عن طريق الدعوة السليمة، كما تشير المصادر أن أولى حملة سنة 1552م بقيادة مولاي زيدان وأخيه الناصرأبناء السلطان احمد الأعرج الذي جرده أخيه محمد الشيخ من الملك في مراكش وترك له إقليمسجلماسة كانت هذه الحملة محلها الفشل وتمكن أهل توات من إلحاق الهزيمة بهما في موقف كبرتن. كما وجه السلطان محمد الشيخ المهدي السعدي من جهته سنة 1557م حملة بقيادة واليه على سجلماسة لكنها أيضا كان مآلها الفشل، فأهالي توات رفضوا الخضوع والاستسلام.

كما شهدت سنة 1578 توجه حملة كبيرة من السعديين مؤلفة على الخصوص من قبائل تاقلالت الى توات، هذه الحملة التي تمكنت من إلحاق أضرار كبيرة بأهالي الإقليم حيث قتلت مايزيد عن 1300 من الأهالي، ثم عادت

---

[1] محمد باي بالعالم ، **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات والعادات ومايربط توات من الجهات** ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، ج 02 ، 2005، الجزائر، ص 45

[2] عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، در وتح: د/ عبد الكريم كريم، جامعة محمد الخامس ، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية و الثقافية، الرباط، ص73.

أدراجها بعد أن توجهت حملة جزائرية إلى الإقليم لصد العدوان بطلب من أهالي الإقليم التواتي ذاتهم[1]. وهذا مايؤكد اهتمام حكام الجزائر بما يجري في إقليم توات وغيرها من الأقاليم التي يعتبرونها من مشمولات أنظارهم بالعناية. تقدم لنا أن منطقة توات جزائرية بحكم موقعها وارتباطها بالشعب الجزائري ولكن في بعض الأحايين توالت عليها ظروف قطعتها من أصلها فادعت بعض الدول تبعيتها لها مثل الترك ودولة الموحدين و دولة السعديين وتارة الدولة الفرنسية[2]:

كلهم يدعي محبة ليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

فتوات بحكم موقعها وتقرير مصيرها جزائرية لا تتجزأ من شعبها الذي شاركته وشاركها في السراء والضراء ما لم يترك مجالا للشك في جزائريتها شأنها شأن حواضر الجنوب الكبير من وركلة والبيض وغرداية وغيرهم وإلى الله ترجع الأمور.

ثانيا: التنظيم الإداري والهيئة الحاكمة

01/ التنظيم الإداري:

تتجمع مدن وقصور إقليم توات التي كانت تزيد على الثلاثمائة في الركن الشمالي الغربي لصحراء المغرب العربي، حيث تتناثر هنا وهناك في مساحة رملية تقدر بألفي ميل مربع على شكل قوس يحيط بهضبة تادميت[3] من جهاتها الثلاث الشمالية و الغربية و الجنوبية. ويشكل الإقليم وحدة إقليمية لها ملامحها الطبيعية و الاقتصادية و العمرانية.

ومن الواضح إن مدن و قصور الإقليم قد نشأت في الأصل عند طرق مرور القوافل التجارية و المسافرين والحجاج التي تخترق الصحراء الكبرى في مجالات سيرها ، أو كمحطات لهذه القوافل حيث تجد المأوى والراحة والطعام والماء بالإضافة إلى المرعى للإبل .فقد يشترون من أسواقها ما يحتاجون إليه ، وخاصة التمر كما كان بإمكانهم استبدال ما ضعف من إبلهم بأخرى سليمة لاستئناف رحلتهم يقول العياشي في رحلته إلى الحجاز عند مروره بإحدى قرى توات " وكان وصولنا إليها ضحى يوم الخميس آخر يوم من ربيع الثاني ، وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا و ما ضعف من إبلنا ، واشترينا ما يحتاج إليه من التمر"[4]

[1] محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص48

[2] نفس المرجع، ص201

[3] هضبة تادميت: منطقة طبيعية في الصحراء الكبرى وسط الجزائر تقع في ولايات أدرار، تيميمون،غرداية وتمنراست، تعتبر واحدة من مناطق الصحراء الكبرى الاشد حرا (مكتبة نور الالكترونية)

[4] أبو سالم العياشي **الرحلة العياشية ،ماء الموائد**، تح سعيد الفاضلي و سليمان القرشي ، ابوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع ،2006م ، ج1 ، ص79 .

والمدنية أو القصر التواتي كان قد انشأ في الأصل لنزول أفراد القبيلة الواحدة لذالك كان بمثابة وحدة إدارية مستقلة ، له إمكانياته الاقتصادية والإدارية و الدفاعية[1] ، فنجد المنازل مجتمعة في مكان واحد يحيط بها سور خارجي وهو سور دو أبراج مقامة على جوانبه الأربعة بحيث يستطيعالأهالي الدفاع عن بلدتهم وكانت كافة أمور البلدة اليومية تسير على وتيرة واحدة فشيخها له مطلق الحرية في إدارة شؤونها ، ومن مجموع المدن والقصور المتجاورة تتكون المقاطعة التي هي وحدة إدارية اكبرمن الأولى ويشرف عليها شيخ المقاطعة الذي يتخذ مركزه في اكبر واهم قصورها من حيث الإمكانيات الاقتصادية و العمرانية والسكانية.

02- الهيئة الحاكمة :

عرف أهل توات نظاما ادريا يتفق مع نظامهم القبلي القديم و الذي كانوا عليه قبل نزولهم بالمدن والقصور التي شيدوها واستقروا بها، فشيوخ القبائل أصبحوا شيوخا على المدن، والقصور، والمقاطعات، ومجلس القبيلة أصبح مجلسا للبلدة .

ولما زاد عدد سكان البلدة و كثرة أحيائها استلزم الأمر تعيين أعوان لشيخها لمساعدته وذالك إلى جانب عدد من الموظفين لتنظيم مصالح السكان وانشغالاتهم اليومية مع السهر الدائم على أداء الشعائر الدينية على أكمل وجه .

ولم يكن لوجود ممثل عن سلطان المغرب الباشا بالإقليم التواتي أي تأثير على هيئتهم الحاكمة و كيفية إدارتهم لإقليمهم[2]، فمهام هذا الممثل كانت محدودة ولا تتعدى فرض وجمع الضرائب من شيوخ المقاطعات في كل موسم زراعي و عليه أن يرسلها إلى حكومة المخزن وكان مقر الباشا قبل القرن 18 ميلادي هو مدينة تمنطيط ثم أصبح بعد هذا التاريخ في مدينة ادرار التي أصبحت مركز الإقليم الجديد، ويعتبر شيوخ المدن و القصور داخل المقاطعاتبمثابة الجهاز التنفيذي للمقاطعة ، ويمارس شيخ البلد سلطاته طبقا للعرف و التقاليد الاجتماعية الموروثة و التي تتمشى مع التعاليم الإسلامية ويعاونه رؤساء الأحياء و مجلس الجماعة [3]

المبحث الثاني:أدب الرحلة و دوره في التأريخ الاجتماعي والثقافي

[1] فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص24.
[2] نفس المرجع، ص26.
[3] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص28

أولا – تعريف الرحلة:

01-الرحلة في القرءان الكريم و السنة النبوية :[1]

لكون الرحلة تعود بمنافع كبيرة فقد حث القرءان الكريم عليها وشجع الناس عليها سواء للهجرة بالدين من ارض الشرك إلى أرض الإسلام أو لطلب العلم أو للحج أو التجارة ، وتظهر عناية الدين الإسلامي بالرحلة من خلال ذكرها لفظا أو معنى مرات عديدة في القرءان الكريم و الأحاديث النبوية

وقد ورد لفظ رحلة بالقرءان الكريم مرة واحدة في القرءان الكريم في سورة قريش التي يقول فيها الله تعالى:

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ "[2]

وأنزلت سورة قريش متحدثة بكاملها عن الرحلة التي تعتبر من أهم الرحلات التجارية في التاريخ نظرا لإبعادها الحضارية و الدينية .

كما نضيف أن لفظ رحل قد ورد بالقرءان الكريم وهو من مرادفات الرحلة في:

قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾."[3]

كما تعددت المفردات الدالة على الترحال في مواطن أخرى من الآيات القرءانية وكان منها : الظغن ، الإسراء ،السفر ،الهجرة ، الحج و السير .

أما بالنسبة للسنة النبوية فقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه على الرحلة وحثهم عليها لطلب العلم ونشر الدين الإسلامي وكذا للتأمل والتدبر في في الكون وملكوت الله ومن الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ما

[1] سديري سميحة و سعدات نور الهدى، **الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الاقصى والجزائر خلال القرنين 17م–18م رحلة العياشي و الورتلاني أنموذجا**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون–تيارت– ،2016/2015 ،ص09

[2] سورة قريش الآية 1–4

[3] سورة يوسف الآية 70

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس كلهم على ظهر سفر ، إن الله بالمسافر لرحيم "[1]

ونستخلص من خلال رصدنا لمفهوم الرحلة في القرءان الكريم والسنة النبوية ان هذا النشاط له منافع كثيرة كالتجارة و التدبر في آيات الله وكذالك طلب العلم[2] .

02- الرحلة في المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

لغة : ظهر مفرد "رحل" في عدة معاجم وحظي بشروحات عديدة فقد جاء على لسان العرب :" رحل البعير رحلا، فهو مرحول ورحيل ، وارتحله جعل عليه الرحل... ارتحلت البعير إذا ركبته... الترحيل و الراحل بمعنى الأشخاص و الإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار ، ورجل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا ، فالرحلة هنا بمعنى السير "

وقد تعددت مشتقات لفظ "رحل" إلا أنها تشترك في معنى عام واحد وهو الحركة.

اصطلاحا :في الاصطلاح تصب معنى الرحلة في قالب واحد حيث عرفها الإمام أبي حامد الغزالي "بأنها نوع حركة ومخالطة" جاعلا الرحلة عبارة عن احتكاك بالآخر،لان الرحلة تلزم التنقل وحركة حتى تكون مخالطة

ثانيا-أهمية أدب الرحلة في الدراسات التاريخية:

01-تعريف أدب الرحلة:

إن مصطلح أدب الرحلة يطلق على تلك الآثار و الأعمال الأدبية التي يحبرها الرحالة، مصورين فيها المناطق التي جابوها والشعوب التي رأوها، كما يراد بالتسمية ذلك اللون الادبي ذي الطابع القصصي والذي يشكل معينا للمؤرخ ودارس الادب، وعالم الجغرافيا والاجتماع[3]، والأكثر من هذا يمثل فن الرحلة ضربا من السيرة الذاتية لأنه وصف لكل ما انطبع في ذهن الرحالة بشأن الأقطار وساكنيها، يتآزر في ذلك الواقع والخيال وأسلوب القص والحقائق العلمية المتصلة بالتاريخ والجغرافيا وعلمي الاجتماع والنفس.

نذكر أن الرحلة التي يقوم بها الرحال يجب أن يتوفر فيها شرطان هما:

---

[1] سديري سميحة و سعدات نور الهدى، المرجع السابق، ص10

[2] نفس المرجع، ص ص 12/11

[3] وهيبة وهيب وفاطمة صغير، مجلة الباحث-المدرسة العليا للاساتذة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري-بوزريعة-الجزائر، ع02، مج 13، السنة 2022[يناير]، الجزائر، ص59

أ/ ينبغي أن يكون من يكتب الرحلات رحالا بطبعه محبا للرحلات.

ب/ أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة و الرغبة التي تمتلكه للقيام بها[1]

02- أهمية أدب الرحلة:

لقد كانت الرحلة من أهم الوسائل في طلب العلم في بداية العصر الإسلامي فقد كانت الكتب نادرة وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع والمؤلفات في يومنا هذا ، وقد كان رجال العلم يتنقلون من إقليم إلى أخر لغرض الدراسة من مشاهير العلم و الفقهاء و المحدثين والأطباء و الفلاسفة واللغويين.

ويعد أدب الرحلات أحد أبدع الفنون الأدبية و أرقاها ، لما يحمله من فوائد عديدة ومتنوعة منها الفكرية والأدبية ومنها التاريخية والاجتماعية والى غير ذلك كثير ، ناهيك عن الأخبار والطرائف يتتره فيها القارئ مع صاحب الرحلة ، ويتعرف من خلالها على المدن والأفاق وعادات الطوائف والأقوام في مختلف الأمصار[2]، هذا وقد حفظت لنا يد الزمن بعض الآثار المكتوبة عن بعض الرحلات الحجازية خلال تاريخ المغرب الإسلامي الحافل، وفي كل فترة تاريخية منه، كان يبرز هنا أو هناك أديب أو شاعر رحالة يخط للتاريخ والأدب آثار رحلة حجازية كان قد سافر لها في فترة ما من حياته. ولم تكن الرحلات الحجازية للرحالة المغاربة كغيرها من الرحلات فهي تمتاز بتقييدات فقهية مهمة من مؤلفها ومن شيوخ الحرم في عهده ،كما تعكس إلى جانب التواصل العلمي و الفكري بين علماء المشرق و المغرب الإسلامي إرساء دعائم التفتح الفكري على المذاهب الإسلامية المختلفة .

إضافة أن الرحلات الحجازية تعد مصدرا من مصادر التأريخ في العصور السابقة، فمثلا تعد رحلة ابن زاكور من أهم المصادر التي غطت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية في الجزائر[3]، فالإخبار التي ذكرها في رحلته عن أحوال الجزائروخاصة علمائها أمثال أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري، وأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري ، وأبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري ، وأبي عبد الله بن خليفة، أصبحت

[1] بناهض عبد الكريم، القيمة اللغوية للرحلات المغاربية الحجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي رحلة العياشي أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث ل م د، تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية: 2017-2018، ص29

[2] يحي بن بهون حاج أمحمد ، **رحلات اباضية** ،دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 ، ص5

[3] مصطفى ضيف و محفوظ بوكراع،**ثلاث رحلات مغاربية** ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 ، ص 29

مصدرا لمن أتى بعده كالحفناوي و عادل نويض وغيرهم. ومن الأحداث المهمة التي ذكرها الغارة الفرنسية على الجزائر[1] سنة 1682.

وتعتبر الرحلة بشكل عام ثروة معرفية كبيرة و مخزنا للقصص و الظواهر والأفكار فهي مكسب و لها قيمة علمية كبيرة في التراث الإسلامي[2]

ثالثا: أنواع الرحلات وأقسامها

01- أنواع الرحلات:

صنف محمد الفاسي الرحلات الى خمسة عشر نوعا في مقدمة تحقيقه لكتاب "الاكسير فكاك الأسير" وهي[3]:

أ/ الرحلات الحجازية: وهي التي يضعها صاحبها بعد الرجوع من قضاء فريضة الحج.

ب/ الرحلات السياحية. ط/ الرحلات العلمية.

ج/ الرحلات الرسمية. ي/ الرحلات المقامية.

د/ الرحلات الدراسية. ك/ الرحلات البلدانية.

هـ/ الرحلات الأثرية. ل/ الرحلات الخيالية.

و/ الرحلات الاستكشافية. م/ الرحلات الفهرسية.

ز/ الرحلات الزيارية. ن/ الرحلات العامة.

ح/الرحلات السياسية. س/ الرحلات السفارية.

02- أقسام الرحلة: للرحلة عدة أقسام تكون حسب الأسباب ومنها[4]:

أ/ الرحلة الدينية:

[1] مصطفى ضيف و محفوظ بوكراع ، **المرجع السابق**،ص 30

[2] زكي لامعة،**الرحلة العلمية و دورها في إثراء المجال العلمي مفهوم الدوافع و الأنواع، مجلة كان للدراسات التاريخية**، ع22، مصر، ديسمبر2013م، ص 160

[3] بناهض عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 34-35

[4]بناهض عبد الكريم، المرجع السابق ، ص36.

و هو أن يكون الرحالة على أساس زيارة البقاع المقدسة على رأسها مكة والمدينة بالإضافة إلى زيارة الأولياء الصالحين مما يدفعهم لتسجيل ما يشاهدونه و ما يرونه أثناء السفر.

ب/ الرحلة الاقتصادية:

سببها الأساسي هو التجارة، فبلاد العرب خصوصا عرفت تبادلا تجاريا من الهند والصين، فرحل إليها العرب وجاء منها الكثير من الرحالة ولما انتشر الإسلام اتسع نشاط التجارة ليشمل إفريقيا وجنوب اروبا.

ج/ الرحلة العلمية: يعتبر طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للترحال، كما جاء الإسلام ليشجع أيضا على شد الرحال لطلب العلم، فالكثير من الرحلات ارتبطت بالاجازات العلمية خاصة أثناء النهضة العربية الحديثة التي تم فيها الانفتاح على الآخر بعد الانزواء والتقوقع.

د/ الرحلة الخيالية:

كان الإنسان يتخيل رحلات غير محسوسة، فالرحلة الخيالية تتميز بالاتساع فهي لا تقتصر على الماضي القريب أو البعيد بل تتعدى إلى الحاضر والمستقبل.

هـ/ الرحلة الشخصية: هي رحلة تنبع من رغبة الشخص في السفر حبا للترحال ودفعا للخمول والركود.

و/ الرحلة الإدارية: وهي التي تكلف بها إحدى الادارات أو الحاكم نفسه أو مجموعة معينة لتحقيق هدف ما، كما يذهب بعض الدارسين أن التجسس كان سببا في قيام بعض الرحلات القديمة[1].

المبحث الثالث: تأريخ الرحلات الحجازية لمنطقة توات في الفترة الحديثة

لتقييم مدى دقة وصحة ماجاءت به الرحلات الحجازية لابد أن نخوض في الحديث عن كيف أرخت وما هي الكتابات والآثار التي تعتبر مصدرا لدراسة هذا اللون من الأدب والعلوم، كما لا يخفى عن احد أن الرحلات الحجازية ساعدت في انتشار العلم والاطلاع على معارف الأمم الأخرى ومن ثم العمل على نقلها والكتابة فيها ما يجعلها عاملا أساسيا في إنتاج ما يدعى بالمخطوط، الذي يعد مصدرا للتاريخ للرحلات الحجازية إضافة للمصادر

[1] نفس المرجع ، ص37.

والمراجع الأخرى من كتب الرحالة والمؤلفين في هذا الأدب، ومن بينها نذكر الرحلات المغاربية التي اتخذت مسار إقليم توات باتجاه الحجاز.

أولا: المخطوطات بإقليم توات

01- تعريف المخطوط

أ/ لغة: كلمة مخطوط مأخوذة من المادة اللغوية خطط، ويبدو أن أول إشارة إليها في معاجم العربية ترجع إلى معجم أساس البلاغة للزمخشري (538هـ) الذي جاء فيه خط الكتاب وكتاب مخطوط[1].

ب/ اصطلاحا: المخطوط كتاب كتب بخط اليد من قبل مؤلف قديم،وإذا كان القدماء قد اختلفوا بشأن استخدام القدماء لكلمة مخطوط، فإن الاتفاق بينهم حاصل فيما يخص حقيقة المخطوط، إذ يجمعون على أن المراد به: تلك النصوص الهامة والقيّمة للفكر الإنساني من حضارات مختلفة ومتعددة في شتى صنوف العلم وألوان المعرفة. وأتي العامل الديني ليكون من أبرز ما دفع العرب ليكون إنتاجهم ضخما في ميدان المخطوطات إضافة للرحلات التي ساعدت على الاطلاع على معارف الأمم[2].

02- المخطوط الرحلي بمنطقة توات:

إن إقليم توات على ما يتوفر عليه من ارث حضاري تمثله تلك المظاهر الطبيعية والمعالم الأثرية، فإنه يقوم كذالك على خزائن لا حصر لها استوعبت أصنافا من المخطوط، ومن أهمها مخطوطات أدب الرحلة.

تتضمن خزائن إقليم توات بالإضافة للمخطوط الرحلي العديد من المخطوطات المتعلقة بالمناقب والتاريخ مثل مخطوط نظم الياقوتة ونسيم النفحات في أخبار توات وأوليائها وصلاّحها، إضافة إلى مخطوطات الأشعار التي خلفها الرعيل الأول والمتقدم من شعراء المنطقة فضلا عن تأليف كثيرة متنوعة[3].

إلا ان المطلع على خزائن المخطوطات بتوات لابد له من ملاحظة الحضور البارز والكبير لفن التاريخ والرحلة، وتتفرع مخطوطات أدب الرحلة في هذه الخزائن إلى ثلاثة أقسام تتمثل في:

أ/ مخطوطات رحلية داخل إقليم توات.

[1] وهيبة وهيب وفاطمة صغير، المرجع السابق، ص55 .
[2] نفس المرجع، ص ص 55-56
[3] وهيبة وهيب وفاطمة صغير ، المرجع السابق، ص63

ب/ مخطوطات رحلية خارج إقليم توات.

ج/ مخطوطات رحلية خارج الوطن.

ثانيا: أهم الرحلات الحجازية التي أرخت لإقليم توات في الفترة الحديثة:

01- الرحلة العياشية (ماء الموائد): [1090هـ/1679م]

أ/ التعريف بصاحب الرحلة: هو عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي، المكنى أبو سالم ينتسب لقبيلة ايت عياش البربرية القاطنة بنواحي سجلماسة جنوب غرب المغرب الأقصى، ولد سنة(1037هـ/1627م) كان أبوه شيخ زاوية و هو أول من اشرف على دراسته قبل تنقلهإلى درعة ليتتلمذ على يد محمد بن ناصر، توفي العياشي بالطاعون سنة (1090هـ/1679م)[1].

من مؤلفاته رحلته الموسومة بالرحلة العياشية التي دونها في مجلدين وسماها ماء الموائد، بالإضافة إلى "أظهار المنة على المبشرين بالجنة".

ب/ مضمون الرحلة: تندرج رحلة أبو سالم العياشي ضمن الرحلات الحجازية حيث يذكر أنه توجه ثلاث مرات إلى الحج في أعوام: 1059هـ، 1064هـ، وعام 1072هـ، يجدر بالإشارةأن العياشي خالف غيره من الرحالين في اتجاه رحلته، الذين كانوا قد سلكوا طريق البحر، فالعياشي سلك طريق الصحراء وجاب الواحات في اتجاهين: الأول شمالي جنوبي حيث توغل في الصحراء إلى واحات توات مسايرا وادي قير ووادي الساورة والثاني كان شمالي شرقي من أوقروت إلى الدغامشةإلى القليعة إلى ورقلة ثم تماسين وتقرت، فكان مسار رحلة العياشي والأماكن التي زارها تثبت حرصه على زيارة الأماكن المقدسة ومراكز العلم المختلفة وهو ما وجده في بعض القرى والقصور التواتية.

02- رحلة ابن مليح: [1630م/ 1040هـ- 1633م/1042هـ]

أ/ التعريف بصاحب الرحلة: هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح المراكشي، وكان ابن مليح صوفي النزعة وهي الصفة التي تمتاز بها الثقافة الاسلامية في العصر السعدي، حيث يبتدىء

[1] عامر دحو، الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م)، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص المغرب العربي الحديث، جامعة غرداية، الموسم الجامعي:2019-2020م،ص 17

رحلته بزيارة مقابرالأولياء والصالحين، كما تكشف نصوص الرحلة عن ان بن مليح كان شيخا فقيها وشاعرا ذو تكوين وثقافة قائمتين على الدين والعلوم الشرعية والتصوف، كما دل على ثقافته ومستواه أسماء الشيوخ الذين جالسهم وتكون وتربى على أيديهم، كما عرف عنه حرصه على زيارة الزوايا والصالحين[1].

ب/ مضمون الرحلة: تعد رحلة رحلة ابن مليح من الرحلات ذات الفوائد الكبيرة والجمة والغنية بالاستشهاد بالقراءن والسنة والاحاديث النبوية والاشعار حيث في اولها استهل بخطبة البداية في قوله " الحمد لله الذي عقد أزمة ازرار الثوب بحكمة واتفاق ...الخ[2]، كما صرح الالقيسي عن سبب رحلته هذه فقال " ... لما ثار في قلبي الغرام لبلد الله الحرام وهاج علي الشوق الساكن لأفضل البقاع والاماكن، أما عن مسار رحلته فقد خرج من مراكش رفقة ركب الحجاج وكان ذالك يوم الاثنين آخر شهر صفر من عام 1040هـ الموافق لـ 07 أكتوبر 1630م، وتوالت منازل الركب مرورا بإقليم بلاد درعة وصولا الى مجال الصحراء الجزائرية التي استمر مسير الركب فيها الى دخلوا توات حيث مكثوا فيها 17 يوما، وبعد خروجهم من الصحراء الجزائرية مروا ببلاد فزان ثم الصحراء المصرية ووادي النيل ثم سيناء وصولا لبلاد الحجاز[3].

أما عن طريق العودة فقد انطلقوا يوم الاثنين السابع من محرم من نفس السنة وسار الركب الى لحقوا بالركب التونسي بأبيار علي رضي الله عنه حيث سقوا الماء وتجمع الركب المغربي كله وكان الانتقال الى نبط ثم لعقبة السوداء والحورة وبئر الدركين واستمر المسار الى لقوا اهل مصر في انتظارهم بقصبة المويلح ثم واصلوا رحلتهم مرورا بالقرى حتى دخلوا القاهرة التي اقاموا بها قرابة 55 يوما ثم ارتحلوا الى وصلوا وجلة ومنها تخلوا عن طريق الذهاب فمروا بمورد ابي النائم ثم الهاروج الابيض وصولا لبلاد فزان واستمر المسير لصحراء تيديكلت مكملين مساراهم اسفل بلاد توات واستمروا ليبلغوا وادي الساورة ثم تابلبالت ثم درعة وكان ذلك يوم السبت 05 شوال 1042هـ/13افريل 1633م، وبعدها لقوا اهلهم بمراكش.[4]

---

[1] كعبوش بومدين وبن مويزة ابراهيم، **دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية**، مج 12، ع 01 جانفي 2020، ص ص227-228

[2] ابي عبد الله محمد بن احمد القيسي "ابن مليح"، انس **الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الاعاجم والاعارب**، وزارة الدولة المكلفة بالشؤن الثقافية والتعليم الاصلي، تح: محمد الفاسي، فاس المغرب، 1968، ص ط.

[3] كعبوش بومدين وبن مويزة ابراهيم، المرجع السابق، ص ص 229-230

[4] كعبوش بومدين وبن مويزة ابراهيم، المرجع السابق، ص 231.

خلاصة الفصل:

إن منطقة توات من خلال موقعها الجغرافي وما يترتب عنه من معطيات و خصائص وكذا التنظيم الإداري بهذا الإقليم اظهر أن القصور التواتية مترامية الأطراف ومحتواة في ثلاث مناطق هي تيديكلت ، توات الوسطى قورارة وهذا جاءت به كتب الرحلات و ادبها ذو الأهمية الكبيرة في الدراسات التاريخية ودور الرحلات الحجازية في التأريخ لعدة مناطق بما فيهم إقليم توات في الفترة الحديثة و اعتبارها مصدر هام لدراسة الإطار الثقافي والاجتماعي للحواضر في مسار هذه الرحلات، التي نذكر من بينها الرحلة العياشية لصاحبها أبو سالم العياشي ورحلة ابن عبد الله محمد بن احمد القيسي الملقب بابن مليح.

الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية بتوات في الفترة الحديثة

المبحث الأول: المجتمع التواتي بالفترة الحديثة :

أولا– الجماعة التواتية:

لقد كان إقليم توات مفتوحا على هجرات القبائل المختلفة منذ الفتح الإسلامي للمغرب العربي، ومن هذه الهجرات بداء المجتمع التواتي يتشكل ببطء من ثلاثة عناصر هي البربر، العرب، والزنوج .

ومع مرور الوقت امتزت هذه العناصر مشكلة لنا الجماعة التواتية وهي تسمية أطلقوها على أنفسهم ، فقد كانت هذه الجماعة موحدة في العادات والتقاليد و ذات قيم اجتماعية و خلقية ثابتة ،علاوة على أن الذين الإسلامي جعل منهم مجتمعا متآخيا ، وهذه هي الجماعة التواتية التي نتاول وضعيتها الاجتماعية في هذا الفصل بالدراسة[1] .

إن ما يعرف على إقليم توات أن أول من قدم إليه هم القبائل البربرية خاصة الزناتة " الفرع الزناتي" واستمرت هجرة هذه القبائل خاصة في القرن الخامس الهجري نظرا للصراع الذي نشب بين القبائل المغربية القديمة وقبائل بني هلال التي وفدت إلى المغرب بإعداد كبيرة وقتها ، فأدى هذا إلى إرغام الكثير من العشائر والبطون إلى اللجؤ للصحراء واستمر توافدها على إقليم توات إلى غاية القرن السابع الهجري ، وبعد توافد هذه القبائل على الإقليم واستقرارها فيه مع من سبقوهم من القبائل نتج صراع على رئاسة الإقليم ما شكل انقسامهم إلى كتلتين فاستنجدت كل كتلة منهم بجيرانها من القبائل العربية الضاربة في الصحراء ، فاستمر الصراع إلى أن بسطت جماعات عربية عرفت باسم عرب المعاقيل نفوذها على الإقليم وهذه الجماعات كانت قد قدمت من جنوب الجزيرة العربية ، ومع ازدياد أعدادهم توغل والى المدن والقصور الواقعة في مجال سيرهم مستغلين في ذالك ضعف أمراء بني مرين وقتها.

ومع مرور الوقت استغل التواتيون موقع إقليمهم في الوسط فمارسوا التجارة خاصة تجارة مبادلة سلع أسواق المغرب العربي وسلع أسواق السودان الغربي ومع تنامي النشاط التجاري إضافة إلى النشاطات الزراعية والحرفية التي أمتهنها التواتيون كان لزاما عليهم توفير الأعداد الكافية من العبيد لتسيير نشاطاتهم المختلفة ، ومع المرور الوقت وامتزاج

[1] فرج محمود فرج ، **اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين** ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1977 ، ص 32

العناصر الثلاث التي تشكل منها المجتمع التواتي ظهر جليا تشكل أربع طبقات هم الأشراف والأحرار والحرثانيون و العبيد كما أن تقسيم الأفراد على هذه الطبقات استند للأصل و المولد و المكانة الاجتماعية للفرد[1].

حيث احتل طبقة الأشراف المكانة الأولى وهم في الأصل ينتسبون إلى البيت العلوي وفدو إلى توات من شمال المغرب العربي ، الطبقة الثانية هي طبقة الأحرار التي مثلت أغلبية السكان وهم آباء و أمهات أحرار، ثم تأتي طبقة الحراثين وهي طبقة اقل شانا من سابقاتها حيث تشكلت بعد ارتفاع عدد المواليد من الجواري ن وأخير تأتي طبقة العبيد وكان ترتيبها هذا نظرا للأعمال و الخدمات التي كانوا يمارسونها في الزراعة ورعي الحيوانات وحفر الفقاقير.

كما يجب أن نقول انه ورغم أن الجماعة التواتية جماعة طبقية في تركيبها إلا أن روح المؤخات والتعاطف تسود أفراد الجماعة ويظهر هذا جليا من خلال مواقف جماعية وعادات وتقاليد يسلكونها ،كأن يحدث أن ينتهي مخزون التمر عند الأسر الفقيرة قبل حلول موسم جمع التمور فتجد شيخ البلدة يسارع إلى جمع الصدقات لتوزيعها على الأسر المحتاجة، ونزيد بالذكر إلى أن هذا التكافل لم يكن محصورا في القصر أو البلدة الواحدة فقط بل تعداه إلى أن يكون بين مختلف مقاطعات الإقليم وتعتبر المجاعة التي حدثت سنة 1761 م في بعض المقاطعات كتيمي وبودة وتسابيت بسبب هجوم أسراب الجراد وما أحدثته بالمحاصيل وأشجار النخيل كادت أن تؤذي إلى موت الآلاف من الأهالي لولا قوافل النجدة التي وصلت من أقاليم أخرى بالأخص من إقليم قورارة إلى جميع الأقاليم المنكوبة.

وما هذه الصفات بغريبة على أهل توات المكرمين لضيوفهم وكان حرص التواتين على هذا ناتجا من الظروف الصحراوية القاسية التي لا ترحم المسافرين الذين يقطعون مسافات طويلة وتضاريس وعرة بين الرمال الحارقة كل هذا وغيره يفرض على المسافر ان يأخذ قسطا من الراحة ليواصل مساره[2]، فعرف التواتيون بإكرام الغريب والمسالمة مع جيرانهم، وهذا يرجع أن المجتمع التواتي مجتمع متمدن غرس الإسلام في نفوس أهله المحبة والتعاطف التي لمسها كل من زار الإقليم أو احتك بسكانه[3].

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص33-34 .

[2] فرج محمود فرج، **المرجع السابق** ص36

[3] عبد الحميد جنيدي، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**، ع 05، ماي 2018م، ص40

وفي الجدول التالي قائمة بأسماء القبائل التي نزحت إلى إقليم توات [1]:

اسم القبيلة	سنة القدوم		اسم القبيلة	سنة القدوم	
	الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي
أولاد بن عبد الجليل	501	1107	أولاد عبو	609	1212
أولاد عياش	502	1108	أولاد الصابون	640	1242
أولاد خير الله	516	1122	أولاد عليش	650	1252
سيد وعلي البلالي	518	1124	البرامكة	656	1258
أولاد بن ادير (ندير)	520	1126	أولاد علي	673	1274
أولاد حسين	528	1134	المحاجيب	678	1276
أولاد بن سليمان	531	1136	قبيلةآخزوم	698	1277
قبيلةداكون	536	1141	أولاد الشيخ دحو	1012	1603
شرفاء الحموديون	550	1155	أولاد هلال	1016	1607
أولاد أحمد عزي	608	1211	قبيلة (الطرود)من واد سوف	1027	1617
أولاد عثمان	668	1269	قبيلة أعربيب	1076	1665

ثانيا:الآفات الاجتماعية التي عرفت عن الجماعة التواتية

كما أسلفنا الذكر أن المجتمع التواتي تشكل من فئات وقبائل مختلفة توافدت على المنطقة، وعلى غرار جميع المجتمعات الكبيرة التي تشكلت من أجناس متباينة لم يخل المجتمع التواتي من بعض السلبيات والآفات الاجتماعية، والتي حرص الفقهاء على احتوائها من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيما يلي نذكر بعض الآفات التي عرفت عند الجماعة التواتية في الفترة الحديثة:

01- آفة التدخين:

انتشرت هذه الآفة في توات بشكل واسع خلال القرن 12هـ، واقتحمت معظم القصور والمجالس والديار ، كما تباينت الفتاوى حولها من الفقهاء والعلماء، هذا وبعد انتشار الدخان في توات سادت زراعته بين الأهالي وتعددت استعمالاته، فنتج عن ذلك ظهور آفة مشابهة له وهي استنشاق عشبة الدخان بالأنف بعد الطحن والدق، وعرف

[1] صالح بوسليم،**إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م**، مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة، جامعة وهران، ط01، 2019من ص91.

بين الناس باسم "طاباقو" كما أن عدم القطع في تحريم هذه الآفة كان من بين الأسباب التي شجعت على الاستمرار في تعاطيها من قبل الكثيرين.[1]

02- المعاملات غير المشروعة:

عند ذكرنا المعاملات الغير المشروعة فإن المعاملات الربوية تبرز في المقدمة إضافة للعقود الفاسدة، وكان السبب أحيانا الجهل وأحيانا أخرى الطمع في اكتساب منافع معينة، كأن نذكر أن يشتري أناس الغنم حين تأتي إلى البلد ويشتركون فيها بلا مال ويطلبون الربح في ذلك، كما أشتهر عن بعض أهل البلد مايدعى عندهم بالمنزلة وهي أن ينفق الرجل على ضيفه أياما معلومة ويبيع له ويأخد هو من كل شي موزونة،[2] هذه المعاملات وغيرها تظهر أن المجتمع التواتي كانت له علاقات خارجية مع حواضر وأقاليم أخرى ساهمت في تجارته والحياة الاجتماعية للأفراد.

03- السرقة والتعدي على الأملاك:

عرف أن توات كانت تتعرض لإعتدات متكررة من قبائل الأعراب المجاورة فتصنف هذه الاعتداءات بأنها خارجية، أما داخليا فنجد أن الاعتداءات تمثلت في السرقة واستغلال أملاك الغير دون وجه حق والشائع هنا هو استغلال الأراضي الزراعية للغير والمياه وهي التي اعتبرت حينها رأس مال الإنسان التواتي، وذلك كأن يكسر أحدهم جريد النخيل ويهدم الحيطان ليثبت بطريقة غير مشروعة أن الأرض ملك له، وفي التعدي عن املاك الغير أيضا نذكر من يقطع تمور النخيل تعديا وسرقة.[3]

ثالثا: النظام القضائي عند الجماعة التواتية:

01- تعريف القضاء:

لغة: يقول ابن منظور القضاء هو الحكم و يجمع على أقضية وقضايا،قال:قال أهل الحجاز القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها. واستقضى فلان أي جعل قاضيا يحكم بين الناس.[4]

قال الله تعالى:

[1] أحمد بوسعيد، **المرجع السابق**، ص94.

[2] أحمد بوسعيد، المرجع السابق،ص95.

[3] نفسه،ص94

[4] محمد المهدي بكراوي، مجلة الدراسات التاريخية ، مجلد24، العدد 2024،01م،ص ص 520/505

"﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾"[1]

وقوله تعالى:

" ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾"[2]

وقوله تعالى:

" ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾"[3]

- **أما في الاصطلاح:** فقد عرف الفقهاء القضاء بأنه: (الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام [4])

02- القضاء بتوات:

بعد تعريفنا للقضاء لغة واصطلاحا يجب القول إن إيجاد جهات قضائية تفصل في المنازعات و المشاكل التي تنشأ بين الأفراد من حين إلى آخر يعتبر من العوامل التي ساعدت التواتيين على تنظيم حياتهم الاجتماعية و استقرارهم داخل القصور والمدن التي يسكنوها ، ومن ابرز الخلافات التي كانت بارزة في الفترة الحديثة كانت المسائل الشرعية كالإرث والطلاق إضافة إلى نزاعات البيع والشراء.

كما تجدر الإشارة إلى أن الهيئات القضائية التي تتولى النظر في القضايا المتنازع عليها عند التواتيين كانت تختلف من حيث التكوين والأهمية ومن مكان إلى آخر[5] ، فمثلا عند سكان القصور الثانوية خاصة تلك البعيدة عن مركز الإقليم نجد أن مهام القضاء يقوم بها شيخ البلدة أو مجلس جماعتها في تنظر لقضايا مثل السرقة و الاعتداء على الغير إضافة إلى قضايا الشرف و امن البلدة أو القصر.

أما على مستوى المدن الكبيرة فمعظم الأحيان يوجد بها قاضيا يختاره شيوخ المقاطعة للنظر في القضايا التي تخص الأفراد، يكون القاضي دو مستوى علمي رفيع وسمعة حسنة وسلوك حسن إضافة لدرايته بعادات وأعراف المجتمع وان يكون مالكي المذهب كشرط أساسي .

---

[1] سورة الاسراء الاية 23.

[2] سورة الجمعة الاية 10.

[3] سورة طه الاية 72.

[4] الامام ابراهيم بن فرحون،**تبصرة الحكام في أصول الأقضية و مناهج الأحكام**،ط01، 1406هـ/1986م، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ص11/01

[5] فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص 44

يعتبر قاضي الجماعة التواتية أعلى سلطة قضائية بتوات يحضى بمكانة كبيرة واحترام الجميع بحيث أن الحكم الذي يصدره ينفذه شيخ المقاطعة أن اقتضى الأمر كما يتخذ مقره في مركز الإقليم ، ننوه أن القاضي عند الجماعة التواتية هو منصب توالى عليه أشهر رجال العلم والدين وقتها وينحدر من الأسر التي كانت لها نفوذ في الأوساط التواتية ما كان له الأثر في رضى مشايخ توات عن القضاة المختارين ، كما كان للقاضي صلاحيات أخرى كالأشراف على الموازين والمكاييل بالأسواق العامة والسهر على تطبيق القوانين الشرعية و المخزنية و مراجعة عقود البيع و الشراء [1] ونظيرا لهذه الأعمال التي كان يقوم بها خصص له راتب سنوي من بيت المال للإقليم ، كما أن استئناف الأحكام كانت يحدث في حالات فردية وذالك في أن يستأنف بعض الأشخاص الأحكام التي يصدرها قاضي الجماعة التواتية حينما يراها لا تتماشى مع مصالحه في محكمة تافيلالت بالمغرب الاقصى وغالبا ما كان يحدث إلا عندما يتعلق الأمر بالشخصيات الغنية التي تستطيع تحمل أعباء مصاريف السفر التي قد تصل لعدة أشهر لمتابعة القضية المستأنفة .

كما ذكرنا سابقا أن منصب قاضي الجماعة التواتية تولاه في معظم الأحيان الشخصيات التي اشتهرت بالعلم والجد والنشاط ، إلا أنه وفي الفترة التي ندرسها لاحظنا أن هذا المنصب خضع في بعض الأحيان لعامل الوراثة واحتكرته أحدى الأسر التواتية الكبيرة[2]

كم أن هذا المنصب كانت أعبائه كبيرة على الشخصيات التي لم تكن مؤهلة لتحمل مسؤولياتها لدرجة أن الشيخ محمد بن أبي محمد حينما جاءه أمر السلطان أحمد الذهبي بتوليه خطة القضاء على البلاد الصحراوية في القرن العاشر الهجري رفض و فضل الاشتغال بالتجارة وقال في ذالك " أن يحاسبني الله على ألف ألف قنطار أيسر على أن يسألني قضية لم أفصل فيها بالحق" ورفض المنصب خوفا من الله ،لا لأنه غير مؤهل له [3]

[1] فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص45

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 45

[3] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ،(جوهر المعاني في تعريف ما ثبت لدي من من علماء الألف الثاني) مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط (مدينة أدرار) ص46

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية وتأثيرها على المجتمع

أولا: الزراعة

كانت الزراعة تمثل المورد الاقتصادي الرئيسي عند العديد من سكان توات بالقصور والمدن على حد سواء، وقيل عن بني اركان وهي مدينة تواتية انها بلد كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع ذات عيون جارية وانهار على مر الليالي والنهار[1]، و رغم أن عائد هذا النشاط لم يكن بالمجزي والوفير مقارنة بالجهود الكبيرة التي كانت تبدل في الميدان، إلا أنه كان يسد حاجة السكان من جهة وتغذية النشاط التجاري من جهة أخرى.

01- المحاصيل الزراعية والرعي:

أ/ أنواع المزروعات : كان لزاما على السكان الذين استقروا في الإقليم التفكير في البحث عن أنسب المزروعات التي تتلاءم مع المناخ الصحراوي الجاف، فلم يجدوا أفضل من النخلة حيث انتشرت زراعة النخيل في كامل مدن توات وقصور الإقليم التواتي، ما جعل التمر أهم غداء عند التواتيين وأبرز السلع التجارية كما أن التمر بتوات عرف بجودته وبكثرة الطلب عليه من الخارج. كما زرع التواتيون تحت ضلال النخيل الحبوب والخضروات والفواكه والحناء والقنب...الخ. فاشتهر القمح التواتي بجودته وصلابته وبيع في الاسواق الخارجية بأغلى ثمن، وهناك مزروعات أخرى ارتبطت بتوفر المياه كالجزر واللفت والفول السوداني، الى جانب الرمان والبطيخ وزراعة الأفيون، أما عن المزروعات التي لم تلقى نجاحا في توات فنذكر زراعة القطن والكتان ويعود ذلك لقلة الخبرة وعدم ملائمة المناخ[2].

ب/ الرعي: لطالما ارتبط الرعي بالنشاط الزراعي فأنتشر في توات تربية الأغنام والماعز ولو بأعداد قليلة وعرفت عنده سلالة مايدعى "الدمان" في المواشي إضافة الى كل من الإبل والحمير والخيل ، ولم يعرف على التواتيين تربيتهم للأبقار لعدم توفر المراعي والمناخ المناسب، أما تربية الدواجن فكانت منتشرة؛

[1] ابي عبد الله محمد بن احمد القيسي "ابن مليح"، ص ص 28-29.
[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص 57-58.

وأمام قلة المراعي الذي أدى إلى نقص الثروة الحيوانية، أصبح التواتيون يعتمدون على الاستيراد لسد هذا النقص فكانت الخراف الحية والزبدة والألبان تأتيهم مع تجار الشمال الجزائري الذين يفدون إلى الإقليم التواتي من أجل المبادلات التجارية[1].

02- الموارد المائية:

يعتبر الماء أساس كل زراعة خاصة في صحراء توات الجافة

قال تعالى: " ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾" [2]

استغل التواتيون كل قطرة من المياه التي كانوا يستمدونها من الفقاقير والآبار لسقي بساتينهم، ورغم أن سكان توات الأوائل حفروا العديد من الفقاقير والآبار، فإن هذا التموين لم يكفي أحفادهم وأصبحت قلة المياه عقبة أمامهم ما أضطرهم لحفر أبار جديدة كلفهم جهد ومال وتوفير العديد من العبيد، كما يذكر ان كبار المزارعين من طبقتي الإشراف والأحرار هم الذين امتلكوا مصادر المياه فيما كان على صغار المزارعين شراء الماء اللازم لزراعتهم من أصحاب الفقاقير، كما استعمل نظاما يضمن وصول كمية الماء المحددة لكل فرد من أصحاب الفقارة بقنوات مائية تخرج من حوض الفقارة في اتجاه بستانه، وهذا الأسلوب في توزيع الماء يخضع لمقاييس هندسية يطبقها موظف مسؤول يسمى "كيال الماء" ولكل فرد حرية التصرف في نصيبه من الماء بالبيع أو التنازل[3].

03- العوائق: توجد غالبية الأراضي الزراعية للإقليم في مجاري الوديان القديمة أو بالقرب منها وتتشكل تربتها غالبا من الرمال المالحة التي تصلح عادة لزراعة النخيل، كما تمثل المساحة المزروعة نسبة ضئيلة من مساحة الإقليم الكلية، ويرجع هذا إلى العوائق التي تتميز بها البيئة الصحراوية كندرة تساقط الأمطار وقلة المياه الجوفية التي يعتمد عليها السكان، كما أن هبوب الرياح والزوابع عادة ما تتلف مساحات زراعية، ما اضطر السكان إلى إقامة سياج من سعف النخيل حول البساتين لمنع تراكم الرمال وزحفها على محاصيلهم.

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص59

[2] سورة الانبياء، الاية 30.

[3] فرج محمود فرج، ص ص 55-56.

ثانيا: الحرف و الصناعات اليدوية

كان يعرف على اهل توات ممارستهم للعديد من الحرف و الصناعات اليدوية سواء داخل منازلهم او على مستوى الحوانيت، وبرزت عندهم صناعة غزل ونسج الصوف و القطن محتلة بذالك المكانة الأولى فبرعوا فيها و ظهر ذالك من خلال نسجهم للابسطة و الاغطية وعديد الملابس كالبرانس والكسى[1].

للإشارة فان منطقة توات عرفت بالعديد من الصناعات والحرف اليدوية عبر اقاليمها الثلاثة كل منها على حدى، فمثلا اشتهرت مقاطعة تنركوك في صناعة الابسطة التي كان يطلق عليها اسم " الدكالي" وكذالك الاغطية المعروفة باسم فاتيس و تريضانت وهذه الانسجة كانت تصنع بقصور المقاطعة لاسيما قصور فاتيسوتبلكوزة وعين حمو و زاوية الدباغ، كما امتاز دكالي تينركوك بالمتانة والدوق الرفيع و كذالك بألوانه المتناسقة مما أكسبه شهرة داخل وخارج توات ، كما يجب أن نذكر أن دكالي تيميمونياتي في المرتبة الثانية من حيث جودة الخامات و طريقة توزيع الالوان ، كما انه في نفس الوقت كان افضل من دكالي منطقة توات الوسطى الذي كان يصنع بها أيضا بقصور تمي وبودة وميراجن و تمنطيطوبوفادي.

ورغم ان صناعة الغزل و النسيج عند التوتيين عرفت نجاح يشهد به لإقليم توات إلا ان هذه الصناعة واجهت صعوبات ياتي على رأسها قلة المورد الخام من قطن وصوف لقلة أعداد الحيوانات التي تربى بالإقليم زيادة على رداءة صوفها ، كما أن التواتيين لم ينجحوا في زراعة القطن لذالك لجئ التجار التواتيون الى شراء جزات الصوف و غزل القطن من قوافل التجارة الجزائرية القادمة من الشمال لسد هذا النقص[2].

كما أن غالبية نساء توات كن يقمن بأعمال غزل ونسج القطن داخل منازلهن ، كما انهن أيضا أشغلن في صناعة القفف والسلال و الحصر والمكانس و الحبال من ورق وجدوع النخيل، حيث وصلت أن تدخل هذه الصناعة في تجارة المبادلات بأسواق الاقليم.

ومن الحرف والصناعات اليدوية التي عرف بها التواتيون و ممارستهم لها داخل المحلات والحوانيت بالاسواق العامة نشاط النجارة والحدادة والصناعات الجلدية كالمحافظ والاحدية والسروج وغيرها ، أما صياغة الحلي من الذهب

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 60.
[2] المرجع السابق، ص 60

و الفضة فقد عرف بها اليهود الذين كانوا يشترون الذهب الخام من القوافل القادمة من أسواق السودان للإشارة أن هذه الصناعة عرفت بتواجدها بأسواق المدن الكبرى فقط كأسواق تيميمون وأدرار وتمنطيط وقصر العرب الكبير.[1]

كما عرف على التواتيين تمكنهم من استخراج الجير والجبس وملح البارود وملح الطعام بحيث كانت تتواجد مناجم الجبس والجير قرب مقاطعة تيميمون، اما ملح البارود فكان استخراجها من منطقة اسبع وكذال من نبات محلي تواجد بكثرة في الاقليم ، أما بالنسبة لملح الطعام فكان يستخرج على العموم من السباخ المتناثرة هنا وهناك في الاقليم التواتي ،كما اشتهر سكان واحة كالي بأولاد سعيد بصناعة الاواني الفخارية مستغلين إستخراجهم للطين من من سبخة قورارة .

للإشارة توجد صناعات زراعية موسمية تتطلب تجهيز التمور للبيع أو التخزين حيث يقوم العمال بتصنيفها حسب النوع ثم توضع في أكياس مصنوعة من جلد الماعز أو سعف النخيل بالإضافة إلى لوجود عمال كانوا يقومون بإعداد الحناء والطباق للتصدير بحيث استخدم الاخير لصناعة الشمة التواتية التي عرفت برواجها بأسواق السودان الغربي.

وقبل اختتام الحديث عن الصناعات والحرف تجدر الإشارة بأنه كان في كل قصر صانع أو أكثر يزاول مهنة الحدادة ويعرف بإسم حداد القصر، ومن أهم الأعمال التي كانت توكل له صيانة الآلات الزراعية اليدوية كالمنجل والفأس وعمل الحذوات للدواب أما بخصوص الأجر فقد كان يتقاضى نظير أعماله نصيب يتفق عليه من من التمور ومن غلال كل بستان مزروع بالقصر في آخر كل موسم زراعي ، إضافة لذالك كان على حداد القصر صيانة سور البلدة وقت ما دعت الضرورة لذالك.[2]

ونرى من خلال ما ذكر أن التواتيون نجحوا في وضع اللبنة الأولى لاقتصادهم الذي بدأ بالزراعة و الحرف اليدوية ثم انطلقوا بعد ذالك إلى مجالات أخرى كالتجارة وهو ما سنتطرق له فيما سيأتي بالحديث عن التجارة بإقليم توات وأهمية موقع الإقليم في تجارة الصحراء.

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق ، ص 61

[2] نفس المرجع ، ص62

ثالثا: التجارة

01- التجارة الداخلية:

عند الحديث على التجارة الداخلية فلا بد من ذكر الأسواق التي لعبت دورا هاما في الحياة الاقتصادية عند التواتيين، فلم يخل قصر أو مدينة من الأسواق التي اعتبرت أيضا القلب النابض للنشاط التجاري داخل البلدة، كما حرص أصحاب السلع على عرض سلعهم داخل الأسواق للبيع أو الاستبدال رغم أن هذه الأسواق كانت في العادة تقام في يوم محدد، ويستثنى ذالك في حالة مرور قافلة تجارية على البلدة حيث يقصد أصحاب السلع السوق مباشرة لعرض سلعهم.

وتأتي الرحلة العياشية لتمدنا بأوصاف للأسواق داخل توات حيث يقول العياشي عن سوق تسابيت الذي يقام بمدينة (برنكان) ، فيقول: " وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما يحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر بها رخيصا" [1].

وما سوق مدينة برنكان إلا مثال عن الأسواق التي عرفتها المدن والقصور التواتية حيث أعتبر سوق مدينة تمنطيط الأهم بين أسواق إقليم توات في فترة كانت تمنطيط عاصمة للإقليم وذلك قبل القرن الثامن عشر، إلا أن سوق مدينة أدرار منذ بداية القرن الثامن عشر أصبحت له أهمية كبيرة داخل الإقليم التواتي ليضاهي سوق تمنطيط، كما تجدر الإشارة إلى أسواق أخرى كسوق رقان بمدينة تمدنين التي الذي برزت أهميته كونه يستقبل القوافل القادمة من السودان الغربي[2].

كما لا يخفى أهمية أسواق مقاطعتي تديكلتوقورارة فسوق قصر العرب الكبير بمدينة عين صالح احتل مكانة هامة في تجارة الصحراء حيث كان نقطة التقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء في كل الاتجاهات، كما أن أسواق مدينة تيميمون بمقاطعة قورارة كانت ذات صيت كبير لما اشتهرت به من سلع كثيرة ومتنوعة من عبيد وريش النعام

[1] ابو سالم العياشي، المصدر السابق، ص20

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص66

واللحوم المجففة والجلود وغيرها من الصناعات المحلية كالبرانس والابسطة ، وكانت هذه الاسواق مقصدا لقواف المنيعة وغرداية وسعيدة ومشرية لتبادل السلع.

02- التجارة الخارجية:

كانت التجارة الخارجية لإقليم توات لا تكاد تخرج عن المحاور التالية:

- التبادل التجاري مع أسواق السودان.
- التبادل التجاري مع أسواق تافيلالت وسجلماسة ومراكش بالمغرب الأقصى.
- التبادل مع أسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس.
- التبادل التجاري مع قبائل التوراق والبربر الضاربة جنوب توات.
- التبادل التجاري مع اسواق الشمال الجزائري.[1]

مارس التواتيون النشاط التجاري منذ القديم وقد أشار الى ذلك ابن خلدون حينما قال: "وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكورارين وركلان" ونظرا لما اشتهرت به أسواق توات من رخص وتنوع السلع فقد جدبت لها قوافل الحجاج العابرة للصحراء في طريقها للاراضي الحجازية بحيث كانت هذه القوافل تنطلق من مدن سجلماسةوشقنيط وتافيلالت كل عام، كما كانت هذه القوافل تأخد حاجتها من المؤن من أسواق توات حيث يقول العياشي في موضع آخر : "ان كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف الى توات"[2]

تمثل مجيء القوافل من المحاور الخمس من الشمال الجزائري في موسم جمع التمور بتوات، فكانت القوافل الميزابية مثلا تأتي من غرداية لتبادل سلعها بالتمور التواتية في أسواق منطقة قورارة، أما القوافل القادمة من سعيدة والأبيض سيد الشيخ ومشرية فكانت تقصد أسواق توات في شهر ديسمبر من كل عام محملة بسلع غذائية قصد مبادلتها بالسلع على مستوى أسواق إقليم توات.

[1] فرج محمود فرج المرجع السابق، ص70

[2] ابو سالم العياشي، المصدر السابق، ص20

المبحث الثالث: المرأة ومكانتها في الأسرة والمجتمع التواتي

كرم الإسلام المرأة بأن جعلها مربية للأجيال، وربط صلاح المجتمع بصلاحها وفساده بفسادها لأنها تقوم بعمل عظيم في بيتها في تربيتها للأبناء الذين يتكون منهم المجتمع، كما أن الإسلام منح المرأة حقوقها قسما وعدلا مع الرجال. وأجمع العلماء على أن كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما ندبهم إليه فالرجال والنساء فيه سواء إلا ما أستثني مما هو خاص بالنساء لأنوثتهن.[1]

أولا: حقوق المرأة التواتية:

نالت المرأة التواتية نصيبا وافرا من الحقوق والحريات كحق الملكية والهبة والتحبيس، وحق العمل والسعي، وحق المعاملة بالحسنى والإرث وكذالك حرية التصرف في أموالها، كما كان لها الحق في طلب العلم والمعرفة فارضة نفسها و مثبتة قوتها وجدارتها.[2] كما صنعت المرأة التواتية بعض الاستثناء خلال القرن 12هـ، حيث شهد غياب المرأة الجزائرية عن مسرح الأحداث عكس التواتيات اللاتي امتلكن الأموال وصرفنها وتصرفن فيها بكامل حريتهن بيعا وشراء[3]، وكان لها نصيبا من العلم يمكنها من معرفة نصيبها من الأملاك التي تخصها.

ثانيا: مكانة المرأة التواتية:

تعتبر المرأة التواتية عماد الأسرة و أساسها، وعلاقتها بالرجل تبدأ بعد الزواج، لكن هناك من النساء من كانت تشترط على من خطبها شروطا وحوائج معينة مقابل الزواج به[4]. مما يؤكد وجود هامش كبير للحرية في القبول

---

[1] محمد رشيد رضا، **حقوق النساء في الإسلام**، بيروت، المكتب الإسلامي، 1984 م، ص18

[2] أورد العياشي في رحلته غريبة مفادها أن بعض النساء التواتيات كن ذات سطوة وشدة،وأن أزواجهن كانوا يشهدون الرجال على ذالك بعد طلاقهن بغرض الكسر من شدتهن و بأسهن،فيشيع الخبر في البلد ولا يتزوجهن أحد. ينظر ابوسالم العياشي ، **المصدر السابق** ،ج1،ص84

[3] مثال لامرأة كانت لها أموال في ذمة زوجها فأقترحت عليه ان تشتري منه جنانا مقابل التنازل عن تلك الاموال ، ينظر: عبد الرحمان الجنتوري، **نوازل الجنتوري "النسخة ب"**، مخطوط بخزانة المطارفة ،ص 24

[4] نفسه، ص118

بالخاطب، ينفي تلك الصورة النمطية العالقة في أذهان العامة عن المرأة التواتية الصحراوية، والتي جعلتها رمزا للقهر والخنوع.

ثالثا: الخلافات الزوجية

يوجد عدة نماذج للخلافات بين الزوجين و ذلك لعلة معينة يتسبب فيها أحد الزوجين، وكثيرا ما ينتهي بهما الأمر إلى الاحتكام عند القاضي أو طرح المشكلة عند الفقهاء لتبيان وجهها الشرعي.[1]

رابعا: المرأة في المجتمع التواتي

رئينا مكانة المرأة التواتية وما كان لها من نفوذ ما مكنها من تبوأ دور ريادي لا يقل شأنا عن دور الرجل، في مجتمع يشاع عنه أنه تقليدي محافظ [2]، يمكن تلمس مظاهره في المجالات الاجتماعية المختلفة التي أثبتت فيها وجودها من تعاون وتضامن رعاية اجتماعية، وهو ما جعل المجتمع التواتي يعترف بفضل المرأة وباستحقاقها لمكانتها .

ونظرا أن النشاط الغالب على منطقة توات كان الفلاحة والرعي، فقد ساهمت المرأة فيهما سواء بامتلاكها للبساتين "الجنان" وهو رأس مال عند المرأة فقيمته ثابتة و منفعته دائمة، أو قيامهن على ما يمتلكن من رؤوس الأغنام بأنفسهن، أو يكلفن أزواجهن بذالك[3].

[1] أحمد بوسعيد، **مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام بعنوان الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوزال الجنتوري في القرن 12هـ/18م**، ص99

[2] الحسن الوزان، **وصف افريقيا،ط02**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1983، ص113.

[3] عبد الرحمان الجنتوري، **المصدر السابق** ، ص07

كما اقتحمت المرأة التواتية مجالات الأعمال والحرف اليدوية داخل المنازل مثل الغزل والنسيج[1]، وبذالك مساهمتهن في توفير الملابس الصوفية و القطنية لأفراد العائلة وبيعهن الفائض من الإنتاج.

و إن ما ساد أيضا سابقا هو تزكية الرجال تلك الحظوة للمرأة التواتية ومكانتها خاصة الفقهاء والعلماء منهم. بحيث أن قضايا بعض النساء كانت قد شغلت أفكارهم لردح من الزمن، وكثر الأخذ والرد و إمعان النظر بحثا عن الصواب،[2] فلم يبخسوا المرأة حقوقها رغم ما ارتبط بطبيعة المرأة من الحشمة والحياء.

خامسا: المفاسد الأخلاقية

شكل اندماج المرأة في المجتمع التواتي ظهور بعض السلبيات والآفات التي لا يمكن التستر عليها، حتى أنها أصبحت أن تكون في مضامين فتاوى فقهية ومن هذه الآفات والمفاسد نذكر:

01- أن بعض النساء تم الحجر عليهم من طرف القاضي قبل الزواج نظرا لظهور سفههن قبله، وأخريات تم الحجر عليهن بعد الزواج لظهور سفههن بعده.

02- إن وجود الجواري والإماء داخل إقليم توات سبب انحراف أخلاقي لبعض الشباب، خصوصا أن الكثيرات كن يتنقلن بين البيوت بكل حرية

03- كذالك شاع أن بعض النسوة كن يهجرن بيوتهن ويرفضن العودة لأسباب مختلفة ويطول نشوزهن رغم تهديد الأزواج لهن.

04- كذلك يحكى أن أحد الأزواج تزوج امرأة كان قد طلقها زوجها ثلاثا، وقام هو الآخر بتطليقها مدعيا أنها دفعت له أموالا من أجل ذالك، وتحل لزوجها الأول.[3]

[1] نفسه ، ص03

[2] أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص99

[3] نفس المرجع، ص103

خلاصة الفصل:

يتبين لنا من مباحث الفصل الثاني السابقة الوضع الاجتماعي للفرد التواتي داخل الإقليم وعلاقاته مع أفراد المجتمع، إضافة إلى علاقة الجماعة التواتية مع المقاطعات المجاورة لها، وإكرامهم لضيوفهم وتعاملاتهم مع التجار الوافدين للمنطقة التواتية، وللرحالة العابرين للإقليم في مسارهم إلى الحج.

كما أنه من الملاحظ من خلال ما سبق عرضه أن المجتمع التواتي ثري ومتنوع حيث ألمحت المصادر والمراجع إلى مكوناته العرقية وطبقاته المعيشية، وبأن ذالك التفاوت الطبقي لم يكن مدعاة للإخلال بنظام الجماعة أو سببا يولد مظاهر الترهل والتداعي رغم عدم خلو المجتمع التواتي كغيره من المجتمعات من بعض الآفات والظواهر السلبية التي كان رجال الدين والعلماء يسعون الى نبذها ويبحثون عن سبل التخلص منها، كما تم التطرق إلى القضاء في توات وكيف تم تعيين القضاة وما أهم القضايا التي طرحت عليهم في الفترة الحديثة نظرا لثراء المجتمع التواتي وتباين مكوناته ما ساهم في تنوع هذه القضايا التي عرضت على القضاء.

ومما هو جدير بالملاحظة الدور الهام التي أخذته المرأة التواتية داخل المجتمع، وما وصلته من مكانة جعلتها عنصر فاعل داخل الجماعة التواتية، وحرص الأعيان التواتيين على إيفائها حقها، فقد برز دورها الأساسي في بناء أسس الأسرة وصرح المجتمع.

الفصل الثالث:

الاوضاع الثقافية و الدينية بتوات بالفترة الحديثة

المبحث الأول: التعليم والآداب في توات

لطالما اشتهرت منطقة توات، الواقعة في قلب الصحراء الكبرى الجزائرية، بأنها لم تكن مجرد نقطة عبور للقوافل التجارية، بل كانت أيضًا **مركزًا إشعاعيًا للعلم والثقافة** على مر العصور. هذه الواحة الصحراوية، بما احتوت عليه من قصور، زوايا، ومدارس، مثّلت منارًا للعلم الذي امتد تأثيره ليشمل أجزاء واسعة من السودان الغربي، مسهمة بفاعلية في نشر الحضارة العربية الإسلامية. هذا الدور الثقافي والعلمي المتميز يُمكن تناوله من خلال جانبين رئيسيين: التعليم والعلوم الدينية، والآداب والشعر التواتي.

أولا: التعليم والعلوم الدينية

يُعد التعليم في توات تجسيدًا حيًا للاهتمام العميق بالعلوم الشرعية واللغوية، وقد اتسم ببنية منظمة ومراحل متدرجة عكست حرص المجتمع على تنشئة أجياله على أسس دينية متينة ومعرفية واسعة. انقسم نظام التعليم بشكل رئيسي إلى قسمين متكاملين:

1. التعليم الأولي الابتدائي ("أقربيش"): القاعدة المعرفية الأولى

شكّل هذا النمط من التعليم الركيزة الأساسية للمعرفة في كل قرية وقصر من قصور توات، ولم يكن هناك أي تجمع سكاني يخلو منه تقريبًا. كانت "أقربيش" في جوهرها غرفة بسيطة ومخصصة للتعليم، غالبًا ما كانت ملحقة بالمسجد أو جزءًا منه .يتلقى فيها الأطفال، منذ سن مبكرة تبدأ عادةً من الرابعة، تعليمهم الأولي والمكثف. كان المحور الأساسي لهذا التعليم هو تحفيظ القرآن الكريم، ليس مجرد تلقين، بل بتركيز شديد على التجويد والإتقان التام لأحكام التلاوة. [1]كان هذا الحفظ بمثابة حجر الزاوية الذي يُبنى عليه لاحقًا صرح المعرفة الدينية واللغوية للطفل.

ولتشجيع الصغار وتحفيزهم على المثابرة في الحفظ والاجتهاد، كانت تُقدم لهم هدايا رمزية وتقديرية عند إتمامهم لأجزاء من القرآن أو عند إتمامه كاملاً، مما يعكس اهتمام المجتمع بتحفيز طلب العلم. ما ميّز هذا التعليم أيضًا هو نظام التبرعات السخية والمتنوعة التي كانت تُقدم لدعمه وتمويله[2]. لم تقتصر هذه التبرعات على الأموال النقدية كالدراهم، بل شملت أيضًا موارد طبيعية قيمة مثل النخيل (التمور)، والماء (حقوق الري)، وحتى الماشية

[1] فرج محمود فرج، المرجع السابق،ص ص14-15.

[2] غيتاوي مولاي التوهامي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات, ج1، (2010)

(الحيوانات).هذه التبرعات المجتمعية الواسعة تُؤكد على الإجماع الكبير في توات على الأهمية القصوى للعلم والتعليم كقيمة مجتمعية عليا تستحق الدعم غير المحدود، مما يضمن استمرارية هذا التعليم النوعي ويُمكن الطلاب من قطع شوطهم الأول بنجاح في رحلتهم الدراسية.

2. المدارس الدينية: التخصص والتعمق في العلوم

بعد أن ينجح الطالب في قطع شوطه الأول في "أقربيش" ويُتقن حفظ القرآن الكريم، أو يقترب من إتمامه بشكل كامل، ينتقل إلى المدارس الدينية. هذه المدارس مثّلت المستوى الأعلى والأكثر تخصصًا في نظام التعليم التواتي، حيث كانت تُصقل فيها مواهب الطلاب وتتوسع معارفهم في العلوم الشرعية واللغوية بشتى فروعها.

لقد مر التعليم في هذه المدارس بثلاث مراحل رئيسية، [1]تُبنى كل منها على سابقتها بشكل منهجي، مما يضمن التدرج والتعمق في الفهم:

المرحلة الأولى: تعميق دراسة القرآن وعلومه: في هذه المرحلة، لا يقتصر الأمر على مجرد حفظ القرآن، بل يتعداه إلى دراسة أعمق لعلوم القرآن، بما في ذلك التفسير، الناسخ والمنسوخ، أسباب النزول، والقراءات، مع التركيز الشديد على التجويد المتقدم والإتقان الدقيق لأحكام تلاوة القرآن الكريم.

المرحلة الثانية: تدريس الحديث النبوي الشريف: تُعد هذه المرحلة نقلة نوعية في المكوّن المعرفي للطالب، حيث يُقبلون على قراءة ودراسة أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الكتب المعتمدة والموثوقة .جرت العادة أن تُكثّف قراءة الحديث النبوي في أشهر معينة، غالبًا ما تكون من شعبان إلى ذي الحجة، وقد تمتد هذه الفترة لأكثر من ذلك حسب حاجة الطلاب ومستوى تعمقهم. من أهم الكتب التي كانت تُدرس في هذه المرحلة، والتي تُعد من أمهات كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة، نجد :صحيح البخاري، موطأ الإمام مالك، وصحيح مسلم . ولضمان فهم عميق ودقيق لهذه المتون الحديثية الشريفة، اعتمدت المدارس على شروح وافية ومعتمدة مثل" :إرشاد الساري شرح صحيح البخاري" للقسطلاني و**"فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني**، وهما من أبرز وأشمل الشروح لصحيح البخاري[2].

[1] حاج احمد الصديق (2003)التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 الى القرن 14هـ, ط1، ص ص10-11

[2] باي بلعالم محمد (2005)الرحلة العلية الى منطقة توات, ج1 ,دار هومة.ص ص45-47

المرحلة الثالثة: تدريس الفقه، النحو، والعلوم المتكاملة: تُعد هذه المرحلة الأكثر تخصصًا وشمولية في النظام التعليمي، حيث يلتحق الطالب بالمدرسة الفقهية لإتقان العلوم الشرعية واللغوية. يبدأ التعليم في هذه المرحلة بعلم العقائد، وهو أمر جوهري لترسيخ الفهم الصحيح للمعاني العميقة للعقائد التوحيدية التي سبق للطالب أن تلقى متونها الشعرية وحفظها عند معلم القرآن في المراحل الأولى. من أبرز المتون التي كانت تُدرس في العقائد لترسيخ هذا العلم :منظومة الأوجلي، تليها جوهرة اللقاني.

بعد ترسيخ العقائد، يتدرج الطلاب إلى الفقه، بدءًا بمتون الفقه الصغرى التي تُعتبر بوابات لهذا العلم، مثل الأخضري وابن عاشر .ثم ينتقلون إلى مصنفات الفقه الكبرى والأكثر تفصيلاً، مثل كتاب "أسهل المسالك على مذهب الإمام مالك"، والذي كان المذهب الفقهي السائد والمنتشر على نطاق واسع في الصحراء الكبرى بشكل خاص وفي المغرب العربي بأسره. ومن ثم ينتقل الطلاب إلى دراسة متن الرسالة لأبي زيد القيرواني، ومتن العلامة خليل، وكلاهما من المتون الفقهية المهمة في المذهب المالكي.

أما عن علم النحو، فقد كان يُولى اهتمامًا خاصًا لدوره المحوري في فهم اللغة العربية والعلوم الشرعية. كان التلميذ يستخدم لوحًا خشبيًا (لوحة)يُكتب عليه القواعد النحوية بالإضافة إلى المسائل الفقهية. تبدأ دراسة النحو بمقدمة ابن آجروم المعروفة بـ"الآجرومية"، والتي تُعد أساسًا لا غنى عنه للنحو العربي لاشتمالها على القواعد الأساسية والمبادئ الأولية. ثم يتدرج الطالب إلى دراسة ملحة الإعراب، وأخيرًا يصل إلى ألفية ابن مالك، وهي من أهم وأشهر المنظومات النحوية التي تُعتبر مرجعًا في هذا الفن[1].

لم تقتصر العلوم المدروسة في توات على ما سبق ذكره فحسب، بل شملت أيضًا فروعًا أخرى متنوعة ومتخصصة مثل :الفرائض (علم المواريث) الذي كان يُدرس من خلال كتب مثل الرحبية والرمسوكي .بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك مصنفات أخرى تدرس في أصول الفقه والحديث، وفنون أخرى عديدة من العلوم الشرعية واللغوية التي يصعب حصرها، مما يعكس الثراء المعرفي للحركة التعليمية في توات.

لم يقتصر دور هذه المدارس والزوايا على الجانب التعليمي البحت، بل امتد ليشمل أبعادًا اجتماعية وإنسانية عظيمة . فقد كانت تُشكل ملاذًا للفقراء والمساكين، وتُقدم الإيواء للضيوف والمسافرين .كما اضطلعت بدور هام في الإصلاح

[1] حاج احمد الصديق, 2003 ,ص75-137

بين الناس وفض النزاعات، لتُسهم في استقرار المجتمع وتماسكه.[1]فضلاً عن ذلك، كان لها دور ريادي في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، وفي بعض الأحيان في جهاد الأعداء، مما يُبرز مكانتها الشاملة كمركز للتربية والتهذيب والدعوة والخدمة المجتمعية.

ثانيا: الآداب والشعر التواتي

لم تقتصر الحياة الثقافية والعلمية في توات على التركيز على العلوم الدينية واللغوية التطبيقية فحسب، بل امتدت لتشمل ازدهارًا ملحوظًا في الآداب والشعر .يُمكن استنتاج هذا الازدهار من عدة مؤشرات، على الرغم من أن النص لم يُفصّل في أسماء شعراء محددين أو أنماط شعرية سائدة، إلا أنه يُقدم أسسًا قوية لهذا الجانب الثقافي:

الأساس اللغوي المتين:إن الاهتمام البالغ باللغة العربية وآدابها، والذي تجلى في المراحل المتقدمة من التعليم عبر تدريس متون النحو كـ"الآجرومية" و"ألفية ابن مالك" و"ملحة الإعراب"، لم يكن هدفه مجرد إتقان القواعد اللغوية الجافة. بل كان يهدف بشكل أساسي إلى صقل الملكة اللغوية والفصاحة والبيان لدى الطلاب، مما يُمكنهم من إنتاج نصوص رفيعة سواء في النثر أو الشعر. فإتقان النحو والصرف والبلاغة هو المدخل الرئيسي لأي إنتاج أدبي أصيل ومتقن.

علماء وفقهاء شعراء وأدباء:يُمكن الافتراض بأن البيئة العلمية الخصبة التي سادت في توات، والتي أنتجت عددًا كبيرًا من العلماء الجهابذة الكبار في مختلف الفنون، قد وفرت أرضية مناسبة لازدهار الحركة الشعرية والأدبية. ففي التراث الإسلامي، غالبًا ما كان العلماء الكبار فقهاء ومحدثين، ولكنهم كانوا أيضًا شعراء وأدباء ونقادًا في ذات الوقت. هذا التكامل بين العلم والأدب يُشير إلى أن العديد من الشخصيات العلمية البارزة في توات ربما كان لها إسهامات أدبية وشعرية لم تُذكر بشكل تفصيلي في هذا النص تحديدًا[2].

التواصل الفكري والثقافي الواسع:إن وجود مراسلات بين شخصيات علمية بارزة من توات، مثل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وبين أقطاب العلم في المشرق مثل الإمام جلال الدين السيوطي، يُشير إلى مستوى عالٍ من التواصل الفكري والثقافي الذي كان يجري بين توات ومراكز الحضارة الإسلامية الكبرى. هذا التبادل الفكري لم يكن

[1] الطاهري، مولاي أحمد. (1970)**فتوحات الإله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك** (ج 1). المطبعة العلوية، مستغانم ص7.
[2]غيتاوي مولاي التوهامي, 1994 ,ص93.

مقتصرًا على العلوم الشرعية، بل كان يُغذي المشهد الثقافي العام ويدعم تطور الآداب والشعر من خلال الاطلاع على آخر المستجدات الأدبية وتبادل الخبرات.

الفترة الذهبية للحركة العلمية والأدبية: شهدت الحركة العلمية والثقافية في توات ازدهارًا كبيرًا في بعض قصور الإقليم خصوصًا بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجري (الموافق للقرنين السابع عشر والتاسع عشر الميلاديين). هذه الفترة كانت بمثابة العصر الذهبي للثقافة والعلم في المنطقة، ومن الطبيعي أن يكون هذا الازدهار العلمي مصحوبًا بإنتاج أدبي وشعري يعكس التفاعلات الفكرية والاجتماعية لتلك الحقبة.[1] كان الشعر غالبًا وسيلة لتعليم العلوم، أو لمدح العلماء، أو للتعبير عن قضايا المجتمع، أو حتى للتأمل في الطبيعة الصحراوية المحيطة.

تأثير التحديات التاريخية:على الرغم من هذا الازدهار، يُذكر النص أن هذه الشعلة بدأت بالانطفاء مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ودخلت المنطقة في "ظلمات الجهل" بسبب دخول الاستعمار الفرنسي الذي عمل على محاربة التعليم ونشاط الزوايا. يُمكن الافتراض أن هذا التراجع شمل أيضًا الحركة الأدبية والشعرية، حيث تُحارب القوى الاستعمارية كل ما يعزز الهوية الثقافية واللغة الأم للشعوب المحتلة[2].

في الختام، على الرغم من أن النص لم يُقدم تفاصيل واسعة عن الآداب والشعر التواتي بشكل مباشر، إلا أن التحليل المتعمق للبنية التعليمية القوية، والتركيز على اللغة العربية، ووجود علماء أفذاذ، والتواصل الثقافي الواسع، يشير بوضوح إلى أن الأدب والشعر كانا جزءًا لا يتجزأ من الحياة الثقافية والعلمية المزدهرة في توات .كان هذا الإنتاج الأدبي مدعومًا بالأسس اللغوية المتينة التي يوفرها نظام التعليم، وبالتراث الفكري للعلماء الذين برزوا فيها، ليكون بذلك انعكاسًا للهوية الثقافية للمنطقة عبر العصور.

المبحث الثاني: الممارسات الدينية والطرق الصوفية في توات

لطالما كانت منطقة توات، بقلبها الصحراوي النابض بالحياة، أكثر من مجرد محطة تجارية عابرة؛ فقد كانت مركزًا روحيًا وثقافيًا عميقًا، ازدهرت فيها الممارسات الدينية وتجذرت الطرق الصوفية لتُشكّل النسيج الاجتماعي والفكري

[1] سعد الله أبو القاسم(1998) تاريخ الجزائر الثقافي,ج7 ,ط1 ,دار الغرب الإسلامي.ص393

[2] طه جمال (ب, ت). الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصر المرابطين والموحدين.).ص49

للمجتمع. لم يقتصر دور هذه الممارسات على الجانب الروحي الفردي، بل امتد ليشمل التعليم، الإرشاد، والإصلاح الاجتماعي، مما جعل توات منارة للإسلام والعلم في عمق الصحراء. هذا المبحث يستعرض بعمق دور الزوايا كمنارات لنشر العلم، بالإضافة إلى طبيعة التصوف والزهد التي ميّزت المجتمع التواتي.

أولا: دور الزوايا في نشر العلم

تُعتبرالزوايا الصوفية في توات ركيزة أساسية للحياة الدينية والثقافية، متجاوزةً بذلك دورها التقليدي كمجرد مراكز للعبادة والذكر لتُصبح مؤسسات تعليمية واجتماعية شاملة، تُضاهي في تأثيرها المدارس النظامية. لقد كانت هذه الزوايا، بمعاونة المساجد والمدارس القرآنية (الأقربيش)، بمثابة قلاع راسخة للعلم والمعرفة في عمق الصحراء، تُؤدي دورًا حيويًا في نشر المعارف الشرعية واللغوية على نطاق واسع[1].

لقد تجلى دور الزوايا التعليمي في كونه نظامًا متكاملاً ومنهجيًا. فلم تكن مجرد أماكن للتعبد، بل كانت تُؤدي وظيفة جامعات مصغرة ومراكز تعليمية شاملة ومتدرجة .فقد كانت تُقدم تعليمًا يغطي الفقه، والحديث النبوي، وعلوم التفسير، بالإضافة إلى العلوم الأساسية للغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض. هذه العلوم اللغوية كانت تُعد حجر الزاوية لفهم النصوص الدينية بعمق واستخلاص الأحكام منها، فضلاً عن كونها أساسًا لأي إبداع أدبي أو شعري. هذا النظام التعليمي المتكامل ضمن تكوينًا قويًا للعديد من الفقهاء والعلماء الذين أصبحوا فيما بعد مرجعيات علمية ودعوية في المنطقة وخارجها، مُساهمين في صناعة الفقهاء والعلماء والدعاة الذين حملوا لواء العلم والدعوة إلى أجزاء واسعة من بلاد السودان الغربي[2].

كما اضطلعت الزوايا بدور حيوي في صيانة التراث العلمي الإسلامي والحفاظ عليه من الاندثار، وذلك من خلال نسخ المخطوطات النفيسة وتداولها وتدريسها .فالاعتماد على كتب كبرى مثل "صحيح البخاري"، و"موطأ الإمام مالك"، وشروحها الموسوعية مثل "فتح الباري" و"إرشاد الساري"، يُشير إلى أن الزوايا كانت تحتوي على مكتبات غنية بالمخطوطات والأسفار القيمة، مما يُغذّي الحركة العلمية ويُتيح للطلاب التعمق في مصادر المعرفة الأصلية. ولم يقتصر دورها على النقل، بل كانت الزوايا تُشجع على التأليف العلمي، ويُعد الشيخ المختار الكنتي بمؤلفاته العديدة في علوم الشريعة نموذجًا لذلك، مما أثرى المكتبة الإسلامية وأسهم في نشر المعرفة.

[1] إدريس بن خويا، البعد الروحي لزاوية الشيخ مولاي سليمان بن علي –رضي الله عنه 2009م، ص8.

[2] ابن مرمي، البستان في ذكر الأولياء والعلماء ب تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص253.

لم يقتصر دور الزوايا على الجانب التعليمي والروحي البحت، بل امتدت لتُصبح منتديات اجتماعية حيوية ونقاط التقاء ثقافية .فقد كانت تُقام فيها المناقشات العلمية المستفيضة، وتُلتقى فيها الوفود من مختلف المناطق، وتُعقد فيها جلسات للإصلاح بين الناس وفض النزاعات والخصومات، مما يُعزز من اللحمة الاجتماعية ويُسهم في استقرار المجتمع وسلامه. هذا الدور الاجتماعي الشامل جعل الزوايا مراكز تأثير قوية في المجتمع، تُعزز من تماسكه وتُشكل نقطة التقاء للعلماء والفقهاء والتجار والحجاج، مما يُغني التبادل الفكري والثقافي ويُعزز من مكانة توات كحاضرة للعلم[1].

ثانيا: التصوف والزهد في توات

تُعد ظاهرة التصوف في توات جزءًا لا يتجزأ من هويتها الدينية والاجتماعية، وقد تجسدت في أشكال مختلفة من الممارسات الروحية والزهدية التي أثرت بعمق في طبيعة المجتمع وسلوكه. لم يكن التصوف هناك مجرد طريقة فردية للعبادة أو انعزال عن الحياة، بل أصبح منهج حياة جمع بين التبتل الروحي الصادق والفعالية المجتمعية البناءة[2].

منذ العهود الأولى لدخول الإسلام إلى توات، تجذر التصوف ليُصبح العمود الفقري للحياة الروحية للمجتمع بأكمله. لم يكن ظهورًا عارضًا، بل كان تطورًا طبيعيًا لتشكل الوعي الديني. قادت هذه الحركة الروحية بفاعلية مشايخ أجلاء حملوا على عاتقهم مهمة جليلة :نشر الإسلام وتعاليم طرقهم الصوفية في ربوع الإقليم وما وراءه. هذا الدور القيادي للمشايخ جعل من التصوف قوة منظمة وفعالة في تشكيل الوعي الديني العام وتوجيه الممارسات الروحية.

وقد وجدت هذه الطرق في توات "أرضًا خصبة"لنموها وتفرعها،[3] مما يشير إلى استعداد فطري وعميق لدى المجتمع لتقبل هذه المناهج الروحية التي تُركز على تصفية الباطن، تهذيب النفس، والتقرب إلى الله تعالى.

ارتبط التصوف في توات ارتباطًا وثيقًا بالزهد، وهو الانصراف عن المكاسب الدنيوية الفانية والتركيز المطلق على الآخرة والعمل الصالح. تُشير النصوص بوضوح إلى أن البيئة الطبيعية في توات، بخصائصها الصحراوية الهادئة وجمالها البكر، كانت ملائمة تمامًا لروح الزهد والتبتل والتأمل .إن وصف توات بأنها "توايت للعبادة" يُبرز هذا الجانب العميق

[1] الكُنْتي، محمد بن سيد المختار. **الطرائف والتلائد** .مخطوط بخزانة الشيخ عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، أدرار، الجزائر. ج1، ص141، 144

[2] الطاهري الإدريسي، مولاي أحمد.**نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات** .مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر. ص171

[3] الطاهري الإدريسي، مولاي أحمد. **نسيم النفحات** .المخطوط نفسه. ص12

من العلاقة بين المكان والممارسة الروحية. هذا الميل للزهد لم يكن مجرد فلسفة نظرية تُلقن، بل كان ينعكس على الحياة اليومية للأفراد، مما عزز من قيم البساطة، والقناعة، والبعد عن الماديات، والتركيز على جوهر العبادة والتقوى. إن طبيعة المجتمع التواتي الفريدة، والمكون من نسيج متنوع من الشعوب والأجناس، قد لعبت دورًا حاسمًا في ازدهار التصوف والزهد. فقد كانت نفوس أهل توات تميل في غالبيتها نحو العافية، والسكينة الروحية، ومحبة العلماء والأولياء .هذه الخصال الفطرية المتأصلة جعلت المجتمع متقبلاً جدًا للمناهج الصوفية التي تُركز على تهذيب النفس، وتحقيق السلام الداخلي، وترسيخ المحبة والإخاء بين الناس، مما هيأ المناخ الأمثل لنمو التصوف وتجذره في الوعي الجمعي[1].

لم يكن التصوف في توات مجرد ممارسة فردية منعزلة أو هروب من الواقع، بل كان له دور اجتماعي ودعوي فعال ومؤثر .فقد ساهم الصوفية ومشايخ الطرق بفاعلية في نشر الإسلام في مناطق واسعة، وخاصة في بلاد السودان الغربي. على أيديهم، تعلم السكان مبادئ الدين الإسلامي الصحيح، واكتسبوا مهارات اللغة العربية التي هي لغة القرآن. كما أن الدور الاجتماعي الملموس للزوايا في إيواء الفقراء والمساكين، وتقديم الضيافة للضيوف والمسافرين، والإصلاح بين الناس وفض النزاعات والخصومات، يؤكد على أن التصوف في توات كان منهجًا شموليًا يجمع بين البعد الروحي العميق والبعد المجتمعي النشط، ويُقدم نموذجًا حيًا للتكافل والتآزر، ويساهم في بناء مجتمع متماسك وقوي[2].

من أبرز ما يميز ظاهرة التصوف في توات هو التكامل الفريد واللافت بين البعد الروحاني الصوفي والنشاط الاقتصادي المزدهر. لم يكن هناك أي تعارض بين الزهد والعمل الدنيوي المشروع؛ بل على العكس تمامًا، أدى **ازدهار** النشاط التجاري في المنطقة إلى كثرة الأوقاف والعطايا الخيرية التي كانت تُقدم لدعم الزوايا الصوفية وطلابها. بل الأهم من ذلك، ظهور فئة فريدة من التجار، وهم "تجار أصحاب الزوايا"، الذين كانوا يُنشئون الزوايا بأنفسهم ويُنفقون عليها بسخاء غير محدود من ثرواتهم الخاصة التي جمعوها من التجارة. هذا الدعم المادي السخي ضمن استمرارية الزوايا وقدرتها على أداء أدوارها المتعددة التعليمية، والاجتماعية، والروحية، مما يدل على أن التصوف لم يكن يدعو إلى

[1] العياشي، عبد الله بن محمد. (ط1، 1661م/1662م)-**الرحلة العياشية** .تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي. دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة. ج1، ص109

[2] بن خويا، إدريس. (2008م) **واقع الطرق الصوفية بإقليم توات** . ص244-245

الانعزال التام عن الحياة الدنيا، بل إلى توظيف الموارد والجهود في سبيل الله وخدمة المجتمع، والتكافل بين أفراده، مما جعل توات مركزًا روحيًا وعلميًا ذا تأثير واسع وعميق على مر العصور.

المبحث الثالث: علاقة الحج بالحياة الروحية في توات

لطالما كانت رحلة الحج إلى بيت الله الحرام أكثر من مجرد فريضة دينية فردية؛ ففي السياق التاريخي لإقليم توات، لعبت هذه الرحلة دورًا محوريًا وعميقًا في تشكيل الحياة الروحية، والثقافية، والاجتماعية للمنطقة، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من هويتها. لم تكن توات مجرد نقطة عبور عابرة على طريق الحجاج، بل كانت بحد ذاتها محطة حضارية وروحية استقبلت وأثرت وتأثرت بالمسافرين من شتى بقاع العالم الإسلامي، لتُصبح بوتقة تنصهر فيها المعارف والتقاليد والروحانيات. تتجلى هذه العلاقة المعقدة والمتشابكة بين الحج والحياة الروحية في توات من خلال الدور الحضاري الفذ الذي لعبه الإقليم، وتأثير الحج العميق على الجماعة التواتية بأسرها.

أولا: الدور الحضاري لإقليم توات في رحلة الحج

كان إقليم توات بمثابة شريان حيوي نابض على خريطة الحج الإسلامية الكبرى، يربط بفاعلية بين مناطق واسعة من المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي بالمشرق العربي ومكة المكرمة. هذا الموقع الجغرافي الاستراتيجي لم يجعله مجرد نقطة عبور عادية، بل حوله إلى مركز حضاري متكامل لعب أدوارًا متعددة ومحورية في خدمة الحجاج، وتعزيز التبادل الثقافي والمعرفي، وإرساء دعائم التواصل بين أطراف العالم الإسلامي.

لقد كانت توات، بفضل واحاتها الغنية ومواردها المائية، بمثابة محطة استراحة وإمداد أساسية وضرورية للحجاج . كانت القوافل التي تقل آلاف الحجاج والتجار، بعد رحلات شاقة ومضنية عبر رمال الصحراء القاحلة[1]، تتوقف فيها لتجد الماء الوفير، والمؤن الغذائية اللازمة، والمأوى، والراحة الضرورية لتجديد قواها الجسدية والنفسية. هذا الدور اللوجستي كان بالغ الأهمية لضمان سلامة واستمرارية رحلة الحج، التي كانت تُعد في تلك العصور مغامرة محفوفة بالمخاطر. [2]علاوة على ذلك، لم تكن توات مجرد مكان للتزود بالماء والطعام؛ فقد كانت أيضًا نقطة تجميع استراتيجية

[1]مسعودي الزهراء، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 الى القرن 20 م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، السنة الجامعية: (2009م/2010م) . ص50

[2]هلال، عمار.(1988م)**الطرق الصوفية ونشر الإسلام والقافية العربية في غرب إفريقيا السمراء** . الموسوعة التاريخية للشباب، ص108-118

للحجاج من مختلف الأقاليم المحيطة، حيث يجتمعون وينظمون صفوفهم وينسقون رحلتهم قبل الانطلاق في الجزء الأكثر صعوبة من المسير نحو الديار المقدسة.

على الصعيد الحضاري والعلمي، أصبحت توات ملتقى فكريًا وروحانيًا فريدًا للعلماء، والمشايخ، والقراء، والطلاب من شتى بقاع العالم الإسلامي .فخلال مواسم الحج السنوية، كانت الزوايا والمساجد والمدارس في توات تعج بالزوار من الحجاج والعلماء العابرين والفقهاء العائدين. هذه اللقاءات لم تكن عابرة أو سطحية، بل كانت فرصة سنوية ثمينة لتبادل الخبرات العلمية العميقة، والمناقشات الفقهية المعمقة، وتجديد الإجازات العلمية في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وتلقي الأوراد الصوفية الجديدة، وحتى تبادل المخطوطات والكتب النادرة .فالعلماء القادمون من كبريات المدن العلمية كفاس، والقيروان، والقاهرة، ودمشق، وحتى بغداد، كانوا يشاركون معارفهم الواسعة وخبراتهم المتراكمة مع علماء توات، والعكس صحيح، مما خلق حراكًا علميًا مستمرًا. هذا التفاعل الثقافي والمعرفي المستمر أثرى الحياة الفكرية في الإقليم بشكل كبير، وجعل من توات مركزًا حيويًا لنقل العلوم والمعارف والأفكار بين شمال إفريقيا وغربها والمشرق العربي، لتُصبح بمثابة "جامعة صحراوية" عابرة للقارات.

كما كان للحج دور فعال في تعزيز الروابط الروحية والثقافية العابرة للحدود الجغرافية[1].فالحجاج القادمون لم يكونوا يحملون معهم فقط حوائجهم المادية أو أمتعتهم، بل كانوا يحملون أيضًا عاداتهم المحلية، وتقاليدهم المتوارثة، وقصصهم الشيقة، ومعارفهم المتنوعة. الزوايا الصوفية في توات، مثل الزوايا التابعة للطريقة القادرية والطرق الأخرى، كانت تستقبل هؤلاء الحجاج بقلوب مفتوحة، وتُقدم لهم الإرشاد الروحي، وتُمكن المريدين من الالتقاء بشيوخهم الروحيين من مختلف المذاهب، أو بمن يمثلهم في توات. يُعد حرص القادريين على زيارة بغداد بعد أداء الفريضة، للتزود بجديد علوم الطريقة ونشرها، مثالًا بارزًا على كيف أن الحج كان يعمق الروابط الصوفية ويُعزز من انتشار المناهج الروحية والفكرية وتجديدها. هذه الديناميكية الثقافية والروحية حولت توات إلى بوتقة حضارية عظيمة امتزجت فيها التأثيرات المختلفة، مما أثرى هوية الإقليم وجعله مركزًا حيويًا على خريطة التبادل الحضاري الإسلامي[2].

ثانيا: تأثير الحج على الجماعة التواتية

[1] مؤنس، حسين. (2000م/1420هـ).**الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى** ص23

[2] مسعودي، الزهراء. المصدر السابق. ص36

تجاوز تأثير الحج على الجماعة التواتية مجرد كونه فريضة دينية تُؤدى بشكل فردي؛ فقد كان له انعكاسات عميقة وممتدة ومتعددة الأوجه على النسيج الاجتماعي، والاقتصادي، والروحي للمنطقة، مما ساهم في تشكيل هويتهم الفريدة وثرائهم الحضاري والمعرفي.

على الصعيد الروحي والديني، عزز الحج بشكل كبير من مكانة توات كمركز روحي وإشعاع ديني في قلب الصحراء. إن اللقاءات السنوية المتكررة بين علماء توات المحليين والمشايخ الزوار الوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية كانت بمثابة تغذية روحية وفكرية مستمرة ومتجددة .هذه اللقاءات أثرت بشكل مباشر في المناهج التعليمية المتبعة في الزوايا والمدارس القرآنية، ووسعت آفاق المعرفة الدينية لدى أهل توات، وجددت فيهم الروحانية من خلال تبادل الأذكار والأوراد الصوفية، والتعرف على أساليب تربوية جديدة. كانت الزيارة إلى الأماكن المقدسة، وما يتبعها من زيارات للمراكز الصوفية الكبرى في المشرق والمغرب، تُعزز من الانتماء الروحي للأفراد، وتُعمق فهمهم للعقيدة والتصوف، مما انعكس بدوره على ازدهار الطرق الصوفية في الإقليم وتجذرها العميق في حياة الأفراد اليومية وممارساتهم الدينية.

اجتماعيًا، كان للحج تأثير بالغ في تعزيز الترابط الاجتماعي والتكافل داخل الجماعة التواتية. فالاستعداد لرحلة الحج، بما تتطلبه من تحضيرات مالية ولوجستية وتنظيمية، كانت تُقوي الروابط والعلاقات بين القرى والقصور المختلفة في الإقليم، حيث يتعاون الناس ويتشاورون ويدعم بعضهم بعضًا. كما أن عودة الحجاج كانت تُقابل باحتفاء شعبي كبير، يُعرف بـ"الفرحة" أو "الاحتفال بالحاج"، حيث كانوا يحملون معهم ليس فقط بركة الأماكن المقدسة والهدايا التذكارية، بل أيضًا قصصًا، وحكايات، وتجارب من رحلتهم الطويلة، مما يُثري المخزون الثقافي الشفوي للمجتمع ويُعزز من مكانة الحجيج الاجتماعية والدينية داخل مجتمعاتهم.[1]لقد كان الحج أيضًا فرصة ذهبية للقاء المريدين بشيوخهم الروحيين من أماكن بعيدة، مما يُعمق العلاقة الروحية بين الشيخ ومريديه ويُعزز من وحدة وتماسك الجماعة الصوفية.

اقتصاديًا، ساهم النشاط التجاري الكثيف المصاحب لرحلات الحج في ازدهار اقتصاد توات بشكل غير مباشر ولكن فعال .فالقوافل لم تكن تحمل الحجاج فقط، بل كانت محملة بالبضائع الثمينة والسلع المتنوعة التي تُباع وتُشترى في محطات التوقف على طول الطريق، وتوات كانت محطة رئيسية لذلك. هذا النشاط التجاري المكثف أدى إلى كثرة الأوقاف والعطايا الخيرية التي كانت تُقدم لدعم الزوايا والمدارس والمساجد، مما يضمن استمرارية مؤسسات

[1]سويسي، محمد بن. (2007م/2008م).**العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تمنطيط أنموذجًا خلال القرنين 6 هـ / 13م** . ص102

التعليم الديني. بل الأهم من ذلك، ظهور فئة فريدة من التجار الأثرياء والورعين، وهم "تجار أصحاب الزوايا"، الذين جمعوا بين التجارة الرابحة والورع الصادق، وأنفقوا بسخاء غير محدود من ثرواتهم على بناء وتشييد الزوايا، وتسيير شؤونها، وتوفير الإطعام للفقراء، وإيواء طلاب العلم، وكفالتهم. هذا التكامل العضوي بين الاقتصاد والدين يُظهر كيف أن الحج لم يكن مجرد عبادة روحية فردية، بل كان محركًا قويًا للتنمية الاقتصادية التي تُسهم بدورها في دعم الحياة الروحية والعلمية والاجتماعية للمجتمع، مما يبرز النموذج الفريد للحضارة التواتية[1].

في الختام، يمكن القول إن علاقة الحج بالحياة الروحية في توات كانت علاقة تكافلية وعميقة الجذور. فقد كان إقليم توات بمثابة قلب نابض على طريق الحج، استقبل وأثر وتأثر بالحركة الكبرى للحجيج، مما عزز من دوره الحضاري كملتقى للعلوم والأفكار والثقافات، وأثر بعمق على الجماعة التواتية من خلال تعميق روابطهم الروحية والاجتماعية والاقتصادية، ليُرسخ بذلك مكانة توات كمركز إشعاع ديني وحضاري لا يُضاهى في قلب الصحراء الكبرى على مر العصور.

خلاصة الفصل

[1] الزهراء مسعودي، المرجع السابق، ص 49.

تُظهر دراستنا لهذا الفصل أن منطقة توات كانت بحق **قلبًا نابضًا للعلم والروحانية** في الصحراء الكبرى. لقد تجلى ذلك في عدة محاور أساسية:

في **المبحث الأول، "التعليم والآداب في توات"**، اتضح لنا أن التعليم كان منظماً ومتدرجاً، بدءًا من **"الأقربيش"** كقاعدة أساسية لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده، وصولًا إلى المدارس الدينية التي قدمت تعليمًا معمقًا في علوم الشريعة واللغة العربية، بما في ذلك الحديث (مثل صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك)، والفقه المالكي (كالأخضري وابن عاشر وخليل)، والنحو (كالآجرومية وألفية ابن مالك). هذا الاهتمام باللغة وعلومها كان بمثابة حجر الزاوية لازدهار الآداب والشعر التواتي، حتى وإن لم تُفصّل النصوص في أسمائهم، فإن البيئة العلمية الخصبة والتواصل الثقافي أسهما في ظهور إبداعات أدبية وشعرية تعكس فصاحة أهلها وعمق معارفهم.

أما في **المبحث الثاني**، "الممارسات الدينية والطرق الصوفية"، فقد كُشف عن الدور المحوري للزوايا الصوفية، التي لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل تحولت إلى مراكز تعليمية شاملة تُخرج الفقهاء والعلماء والدعاة، وتوفر بيئة حاضنة للعلم من خلال الإطعام والإيواء للطلاب، وتحافظ على التراث العلمي من خلال المخطوطات والتدريس. كما أظهرنا كيف أن التصوف والزهد كانا متجذرين في المجتمع التواتي، ليس كظاهرة فردية منعزلة، بل كمنهج حياة يتسم بالسلمية ومحبة العلماء والتكافل الاجتماعي، وقد دعمتها الطبيعة الجغرافية للمنطقة وأخلاق أهلها، بالإضافة إلى الدعم المادي السخي من النشاط التجاري الذي أفرز "تجار أصحاب الزوايا" الذين أنفقوا أموالهم بسخاء على إنشاء الزوايا وصيانتها. وقد استعرضنا انتشار العديد من الطرق الصوفية البارزة مثل **القادرية (بفروعها كالبكائية الكنتية)، الطيبية، الزيانية، الصادقية، الشيخية، والتيجانية، والرقانية**، مما يدل على التنوع والثراء الروحي للمجتمع التواتي.

وأخيرًا، في المبحث الثالث، "علاقة الحج بالحياة الروحية في توات"، تبين لنا أن الحج لم يكن مجرد فريضة دينية، بل كان له دور حضاري بالغ الأهمية في جعل توات محطة حيوية على طريق الحجاج، ونقطة إمداد رئيسية، وملتقى للعلماء والمشايخ من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. هذا الدور الحضاري انعكس بشكل مباشر على الجماعة التواتية، فعزز من حياتها الروحية والدينية من خلال تبادل المعارف وتعميق الروابط الصوفية، وأثر إيجابًا على ترابطها الاجتماعي من خلال تنظيم القوافل والاحتفاء بالحجاج، كما ساهم في ازدهارها الاقتصادي بفضل النشاط التجاري المصاحب لرحلات الحج، مما أدى إلى زيادة الأوقاف والدعم للمؤسسات الدينية.

بناءً على ما سبق، يمكن القول إن توات لم تكن مجرد واحة في الصحراء، بل كانت **نموذجًا فريدًا للحضارة الإسلامية** التي ازدهرت بفضل التلاحم بين العلم، والروحانية، والنشاط الاجتماعي والاقتصادي، لتصبح منارة للإسلام والعلم والمعرفة في قلب الصحراء الكبرى على مر العصور.

خاتمـــة

خاتمة :

إن دراستنا هذه الموسومة بعنوان الأوضاع الاجتماعية والثقافية بتوات من خلال الرحلات الحجازية المغاربية في الفترة الحديثة، بينت لنا أن إقليم توات منطقة تميزت بموقعها الاستراتيجي ، فقد كانت طريقا مهم لقوافل الحجاج، الآتية من مختلف أصقاع الحواضر المغاربية كفاس ومراكش وسجلماسة، إضافة للرحلات الحجية المحلية الجزائرية، وهذا ما شكل لنا تصور عن إقليم توات في العصر الحديث فيما يمكن اعتباره نهضة علمية حضارية، مكنت الإقليم من احتلال مكانة مرموقة بين المدن والحواضر في الفترة الحديثة، وما كان هذا ليكون لولا عوامل ساهمت في ذالك على غرار العامل الاقتصادي التجاري إضافة لموقع الإقليم الجغرافي وإستراتجيته، كل هذا وغيره وضعنا أمام صورة عن الحياة الاجتماعية والثقافية التي عاشها السكان داخل الإقليم، وهي الصورة التي زودنا بها الرحالة المغاربيين في سعيهم لزيارة البقاع المقدسة مرورا على المنطقة من خلال كتب الرحلات وما تم حفظه من مخطوطات.

وقد جاءت هذه الدراسة المتواضعة من خلال فصولها الثلاثة في إطار ذلك السياق، حيث عالجت الإشكاليات المرتبطة بالحياة الاجتماعية وتطور الوضع الثقافي بتواتن من خلال الرحلات الحجية وما تقدمه من أجوبة على عديد التساؤلات حول أوضاع توات في الفترة الحديثة في جميع المجالات.

وبناء على كل هذا توصلنا لاستخلاص النتائج التالية:

– زودتنا الرحلات الحجازية العابرة لإقليم توات بمادة معرفية وعلمية غزيرة ومتنوعة للإطلاع على تاريخ المنطقة والكاتبة عنها، خاصة أننا نسجل غياب الكتب التاريخية التي كتبت عن المنطقة في الفترة الحديثة إلا قلة قليلة لا تفي دائما بالغرض المطلوب.

– نقلت لنا الرحلات الحجازية ونخص بالذكر رحلة العياشي ماء الموائد موقع اقليم توات وأهميته في تجارة القوافل الصحراوية.

– كشفت لنا الرحلات الحجازية الطرق الصحراوية التي اعتمدها الحجاج المغاربة في توجههم لأداء فريضة الحج.

– جعلتنا الرحلات الحجازية نبحث عن كيف كتب الرحالة رحلاتهم في فترة الحديثة.

– جعلتنا هذه الدراسة نتطرق إلى مصادر لا غنى عنها والتعريف بها في التاريخ الحديث وهي المخطوطات المحفوظة في كامل أصقاع توات على مستوى العديد من الخزائن الحافظة لها، كخزانة مولاي سليمان بن علي بقصر أدغا وخزائن أولف وتمنطيطوالمطارفة.

– معرفة أن توات ضمت ثلاثة أقاليم هي كل من توات الوسطى، قورارةوتيديكلت.

– استخلصنا كذلك تباين مكونات المجتمع التواتي، وتمايز فئاته، رغم ذلك شهدنا انصهارهم في قالب اجتماعي تربطهم علاقات مبنية على أسس وأعراف وتقاليد.

– مكنتنا الرحلات الحجازية من معرفة أن الكرم كان أحد الصفات الحميدة التي عرفت على التواتيون، وبالمقابل أيضا عرف على التواتيون بعض المعاملات الغير شرعية تفشي آفات اجتماعية بين الأفراد.

– رأينا أن التواتيون عرفوا نظام قضائي، دعامته قضاة مشهود لهم ولأسرهم بالعلم والدراية، وقومه الفقهاء بالأحكام الشرعية المبنية على الفقه الإسلامي.

– اكتشاف المنتوجات التي عرفت عن إقليم توات بالفترة الحديثة، سواء الزراعية أو من جانب الحرف والصناعات.

– كشفت لنا هذه الدراسة الدور البارز الذي جسدته المرأة التواتية داخل المجتمع من مختلف النواحي، والمكانة المرموقة التي حظيت بها.

– ظهور الزوايا والمراكز العلمية وانتشارها عبر كامل الإقليم التواتي، ورافقه تأثر التواتيون بالحج والحجاج وشيوع التصوف والزهد، إضافة لانتشار بعض الخرافات والأساطير التي تبناها متصوفة مبتدعون.

ذالكم ما تمكنت من إلقاء الضوء عليه في دراستي هذه بفضل الرحلات الحجازية، وبعض من الكتب الخاصة بهذا اللون من الأدب، غلا انه من الأكيد انه لا تزال هناك جوانب خافية لم يسلط عليها الضوء لليوم وقد يكون الاطلاع على المقدور الوافي من المخطوطات المحلية حل لهذا.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمةالمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

- سورة قريش :الآية 1-4.
- سورة يوسف :الآية 70.
- سورة الإسراء :الآية 23.
- سورة الجمعة :الآية 10.
- سورة طه :الآية 72.

ثانياً: الكتب

1. ابن فرحون الإمام إبراهيم .تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام .مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1406هـ/1986م.
2. ابن مرمي .البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان .ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.
3. بالعالم محمد باي .الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الجزائر، ج1، 2005.
4. بالعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر .ج2، 2005.
5. ابي عبد الله محمد بن احمد القيسي "ابن مليح"، انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الاعاجم والاعارب، وزارة الدولة المكلفة بالشؤن الثقافية والتعليم الاصلي، تح: محمد الفاسي، فاس المغرب، 1968.
6. بهون حاج أمحمد، يحي بن .رحلات إباضية،دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

7. بوسليم، صالح .إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م .مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، جامعة وهران، ط1، 2019م،

8. حاج الصديق، أحمد .التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، ط1، 2003.

9. رضا، محمد رشيد .حقوق النساء في الإسلام .المكتب الإسلامي، بيروت.1984م.

10. سعد الله أبو القاسم.تاريخ الجزائر الثقافي .دار الغرب الإسلامي.ط1، ج7، 1998م.

11. ضيف مصطفى ومحفوظ بوكراع ..ثلاث رحلات مغاربية .دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر.2011م.

12. الطاهري الإدريسي مولاي أحمد، فتوحات الإله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك، ج1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1970 م.

13. العياشي أبو سالم، ، الرحلة العياشية، ماء الموائد .تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي. دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي ج1، 2006م.

14. الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء .تح: د. عبد الكريم كريم. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

15. فرج فرج محمود، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

16. الكنتي، محمد بن سيد المختار، الطرائف والتلائد، مخطوط بخزانة الشيخ عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، أدرار، الجزائر، ج1.

17. الوزان الحسن، وصف إفريقيا .تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1983.

18. مؤنس، حسين، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى، (2000م/1420هـ).

ثالثاً: المخطوطات

1. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم، جوهر المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط (مدينة أدرار الجزائر).

2. الطاهري الإدريسي مولاي أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

3. الجنتوي عبد الرحمن نوازل الجنتوري "النسخة ب ."مخطوط بخزانة المطارفة.

رابعاً: رسائل ومذكرات جامعية (أطروحات ماستر ودكتوراه)

1. بناهض عبد الكريم، القيمة اللغوية للرحلات المغاربية الحجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي: رحلة العياشي أنموذجًا .أطروحة دكتوراه، تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2017-2018

2. بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م . مذكرة ماجستير في التاريخ العام، السنة الجامعية: 2012/2011م

3. دحو عامر، الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين (11-12هـ/17-18م).مذكرة ماستر في التاريخ، تخصص المغرب العربي الحديث، جامعة غرداية، الموسم الجامعي: 2019-2020م.

4. سديري سميحة وسعدات نور الهدى، الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الأقصى والجزائر خلال القرنين 17م-18م رحلة العياشي والورتلاني أنموذجًا، مذكرة ماستر، تخصص المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة ابن خلدون-تيارت(2015/2016).

5. مسعودي الزهراء، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 الى القرن 20 م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، السنة الجامعية: (2009م/2010م).

خامساً: مقالات ودراسات من مجلات ودوريات

1. وهيب وهيبة وفاطمة صغير، مجلة الباحث-المدرسة العليا للاساتذة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري-بوزريعة-الجزائر، ع02، مج 13، يناير السنة 2022.

2. جنيدي عبد الحميد، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، ع05، ماي 2018م

3. لامعة زكي، الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي: مفهوم الدوافع والأنواع، مجلة كان للدراسات التاريخية، ع22، مصر، ديسمبر 2013م

4. بكراوي، محمد المهدي، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد24، العدد 01، 2024م ص505-520.

سادساً: مصادر أخرى (مواقع إلكترونية، ملاحظات، إلخ).

1. هضبة تادميت :منطقة طبيعية في الصحراء الكبرى وسط الجزائر تقع في ولايات أدرار، تيميمون، غرداية وتمنراست، تعتبر واحدة من مناطق الصحراء الكبرى الأشد حراً. (مكتبة نور الإلكترونية).

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة تظهر توات والحدود العريضة التي تحدها من مختلف الاتجاهات خصوصا هضبة تادميت

الملحق (02): رسم لموقع توات الجغرافي وموقع عواصم الأقاليم الثلاثة المكونة له

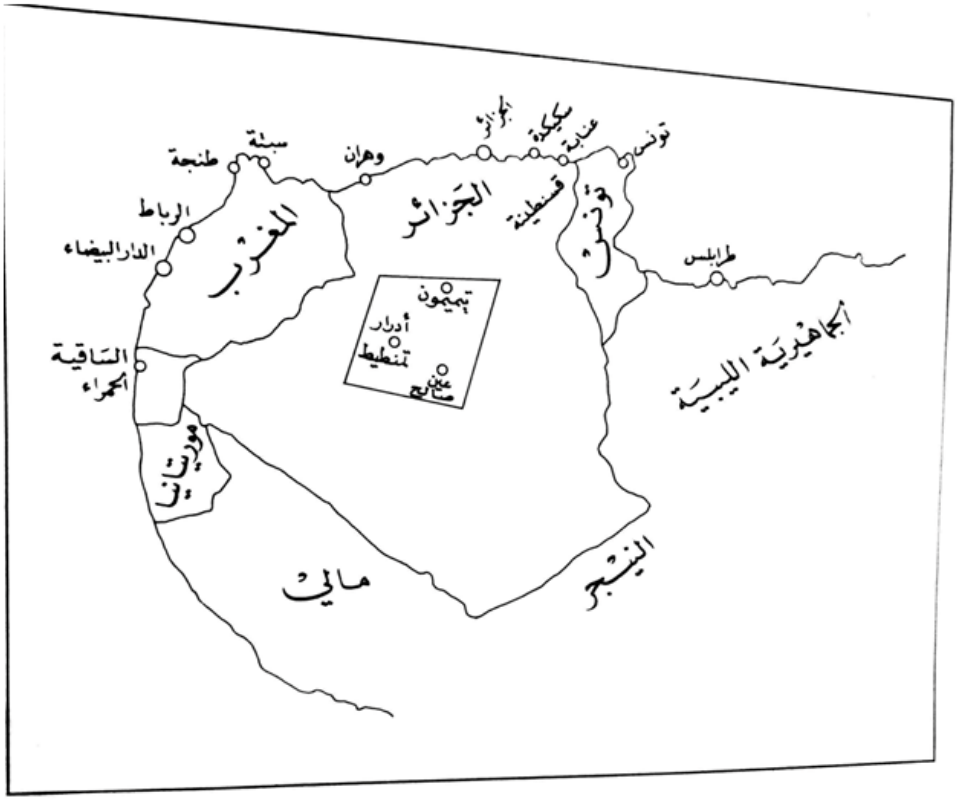

الملحق (03): موقع توات الاستراتيجي وسط الحواضر المغاربية

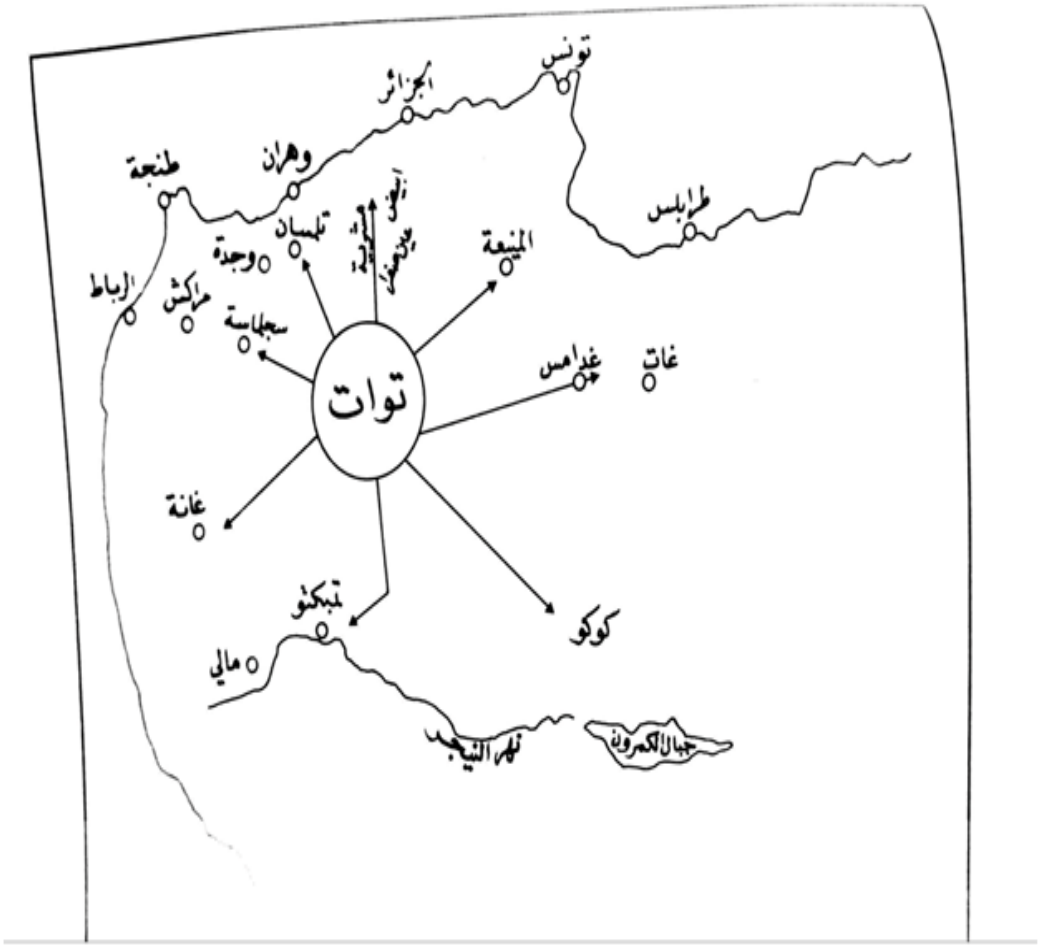

الملحق (04): الورقة الوسطى من مخطوط نوازل الجنتوري (النسخة ب) بخزانة المطارف

قائمة المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الاهداء	
الشكر	
مقدمة	ا
الفصل الاول: الاطار النظري و التاريخي	**08**
المبحث الاول: منطقة توات– الموقع و الاهمية–	**08**
الموقع الجغرافي و التأسيس	**08**
التنظيم الاداري و الهيئة الحاكمة	**11**
المبحث الثاني:ادب الرحلات و دوره في التأريخ الاجتماعي و الثقافي	**13**
تعريف الرحلة	**13**
أهمية أدب الرحلة في الدراسات التاريخية	**14**
أنواع الرحلات وأقسامها	**16**
المبحث الثالث: تأريخ الرحلات الحجازية لمنطقة توات في الفترة الحديثة	**18**
المخطوطات بإقليم توات	**18**
أهم الرحلات الحجازية التي أرخت لمنطقة توات	**19**
الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية بتوات بالفترة الحديثة	**23**
المبحث الاول: المجتمع التواتي بالفترة الحديثة	**23**

الجماعة التواتية	**23**
الافات الاجتماعية التي عرفت عن الجماعة التواتية	**25**
النظام القضائي عند الجماعة التواتية	**26**
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية وتأثيرها على المجتمع	**29**
الزراعة	**29**
الحرف والصناعات اليدوية	**31**
التجارة	**33**
المبحث الثالث: المرأة ومكانتها في الاسرة والمجتمع التواتي	**35**
حقوق المراة التواتية	**35**
مكانة المرأة التواتية	**35**
الخلافات الزوجية	**36**
المراة في المجتمع التواتي	**36**
المفاسد الاخلاقية	**37**
الفصل الثالث: الاوضاع الثقافية و الدينية بتوات بالفترة الحديثة	**40**
المبحث الاول: التعليم و الاداب في توات	**40**
التعليم و العلوم الدينية	**40**
الاداب و الشعر التواتي	**43**
المبحث الثاني: الممارسات الدينية و الطرق الصوفية	**44**

دور الزوايا في نشر العلم	**45**
التصوف و الزهد في توات	**46**
المبحث الثالث: علاقة الحج بالحياة الروحية في توات	**48**
الدور الحضاري للاقليم	**48**
تأثير الحج على الجماعة التواتية	**50**
الخاتمة	**55**
قائمة المصادر و المراجع	**59**
الملاحق	**64**
فهرس المحتويات	
الملخص	

ملخص:عالجت هذه الدراسة موضوع " الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال الرحلات الحجازية، وهي في مجملها دراسة اجتماعية ثقافية لواقع إقليم توات (ولاية أدرار حاليا) في العصر الحديث، اعتمادا على ما جاءت به الرحلات الحجازية المغاربية.وتمكنا من خلال هذه الدراسة إلى رسم صورة واقعية عن المجتمع بتوات خلال الفترة الحديثة، بدءا بموقعه الجغرافي وأهميته، والى المكونات المشكلة لهذا المجتمع وعلاقتهم ،كما تم أخذ تصور عن الحياة الثقافية بمختلف جوانبها ومدى تميز تلك الفترة حضاريا، وكانت خاتمتنا تتويجا لما تم التطرق إليه وما تم تسجيله من نتائج واستنتاجات وتوصيات نتأملها، كما تم عرض بعض الملاحق ليكتمل المشهد على أبهى و أوضح صورة.

Summary:

This study explored "Social and Cultural Life in the Touat Region ThroughHejazi Journeys," a comprehensive socio-cultural examination of the Touat region (present-day Adrar Province) during the modern era. The research primarily relied on accounts from MaghrebiHejazi travelogues.Through this study, we were able to paint a realistic picture of Touat society during the modern period. We began by detailing its geographical location and significance, then delved into the various components forming this society and their interrelationships.Furthermore, we developed an understanding of the region's cultural life in its diverse aspects and highlighted the distinctiveness of that period from a civilizational perspective. Our conclusion summarized the key points discussed, presenting the findings, conclusions, and recommendations that we hope will be considered. Additionally, several appendices were included to offer the most complete and clear picture possible.